جذور الصراع حول لغات التعليم في أرتريا

دراسة تحليلية أعدها :
الأستاذ / أبو بكر الجيلاني

جذور الصراع حول لغات التعليم في إرتـــــــريا

دراسة تحليلية أعدها

الأستاذ / أبوبكر جيلاني

الطبعة الأولى - أغسطس ٢٠٠٩

المحتويات

مقدمة

نقدم من خلال هذه الدراسة مادة تعبوية للأعضاء وكذلك لأنصار الثوابت الوطنية الإرترية. وهي فى تقديرنا واحدة من أفضل الدراسات التي تناولت أحد أهم الثوابت الوطنية والذى ندافع عنه ونناضل من أجله ألا وهو حقنا فى إعتماد اللغة العربية لغة رسمية ولغة للتعليم فى إرتريا ، حيث أننا نعتبر عدم إقرار هذا الحق بما تمثله اللغة العربية من بعد دينى وثقافى وحضارى لدى قطاع كبير ومهم من المجتمع الإرترى بأنه أحد أسباب الصراع السياسي المحتدم في إرتريا. لقد تميزت الدراسة بالموضوعية وبالقرائن والحجج التي تدعم صحة الوقائع وقد بذل كاتبها ومعدها الأستاذ أبوبكر جيلاني جهدا مقدرا في سبيل إعدادها وإخراجها لتكون مادة دراسية يمكن أن يرجع إليها أي طالب علم أو مؤرخ خاصة من يمارس العمل السياسي ، فهي تكشف أبعاد المؤامرات التي حيكت ضد اللغة العربية من مختلف القوي الأجنبية والإرترية فى مختلف الحقب والعهود. ومن ناحية أخري هي مادة تعبوية تعين الكادر السياسي على التسلح بمزيد من الحقائق التاريخية التي تسهل مهمته النضالية في نشر الوعي بحقائق الصراع مع القوى الطائفية والاقصائية وسط الشعب الارتري وكذلك يستطيع من خلالها تفنيد إدعاءاتها الكاذبة التي تضلل بها بعض المغرر بهم. قد لا تكون هذه الدراسة المادة الوحيدة التي يمكن الإستعانة بها في دحض مزاعم تلك القوى ولكنها من أفضل ما كتب فى هذا الموضوع حتى الآن ، لذا كان سعينا من أجل نشرها بعد أخذ الإذن بذلك من كاتبها الأستاذ أبوبكر جيلاني الذي كان قد قام بنشرها مشكورا على حلقات في موقع (مجلة النهضة) الإرترية المستقلة على شبكة الإنترنت فالشكر الجزيل للأستاذ أبوبكر جيلاني لهذا الجهد الكبير آملين أن يقدم المزيد في المستقبل .

قسم الإعلام والتوعية

جبهة الثوابت الوطنية الإرترية

تمهيد

إن المتابع لهذه الدراسة المتخصصة سوف يستنتج بأن المسلمين في إرتريا ما فتئوا يجاهدون من أجل توطين اللغة العربية المعاصرة في ديارهم وإستخدامها في حياتهم التعليمية والإدارية منذ قرون ، بينما القوى الخارجية المسيطرة عليهم ظلت تمنع ذلك لأسباب مختلفة منها ما هو قومي أو ديني أو إستعماري، وما نشاهده اليوم في إرتريا من قضايا مثل "لغة الأم" ما هو إلا إفرازات لترسبات ذلك الصراع اللغوي القديم، ولغة الأم يُقصد بها تعليم أطفال المسلمين الإرتريين بلهجاتهم المحلية المنطوقة وكتابتها بالحروف اللاتينية أو الجنزية ، خلافا لما كان عليه آباؤهم وأجدادهم الذين استخدموا الأبجدية العربية في تعليمهم التقليدي والنظامي وكما كان إلغاء اللغة العربية من المنهج الدراسي الإرتري من أحد أسباب إنفجار الثورة الإرترية ، فإن تهميش اللغة العربية وإستبعادها من الساحة الرسمية والتعليمية كلغة رسمية وطنية ولغة تعليم لكافة المسلمين قد يكون من عوامل التغيير المرتقب لضمان إستقرار ووحدة الكيان الإرترى.

المؤلف

تطور اللغات وإندثارها

لحكمة يعلمها الخالق عز وجل ، إن اللغات وهي آية من آيات الله نشأت وتطورت ثم تفرع بعضها عن بعض خلال قرون سحيقة في القدم منذ أن علّم الخالق سبحانه وتعالى أبانا آدم الأسماء كلها ، ومعظم اللغات الحية اليوم انبثقت من لغات أخرى ظهرت قبلها ما يعني إن اللغات تولد وتموت، ولكن يحدث هذا خلال فترات طويلة جدًا من الزمن بحيث لا يلاحَظ الإنسان هذا التطور أو الاندثار في حياته الفردية ، بل يلاحَظ بعد مضى قرون عديدة ، وتتطور اللغات من البدائية إلى الإبداعية كلما اكتسبَ مستخدموها نضوجاً فكرياً، وتتراجع لغة ما ويقل استخدامها كلما تأثر مستخدموها بفكر وكلام غيرهم، وتندثر اللغة لعدة عوامل منها سقوط الحضارة التي ترعرعت في كنفها ، وقد تشتق منها لغات جديدة قبل أفولها، مثل ما حدث للغة اللاتينية في أوروبا واللغة الجئزية في الحبشة مثلا. وقد تندثر لغة ما دون أن تشتق منها أي لغة أخرى. تستخدم اليوم أكثر من ٧،٠٠٠ لغة في العالم ، بعضها مثل الصينية، والإسبانية ، والإنجليزية، والعربية ، والأردية يتحدث بها عدة مئات من الملايين من البشر، كلغة أولى أو كلغة ثانية وبعضها لا يستخدمها سوى بضعة مئات من البشر. بعض اللغات قد اندثرت قبل عدة سنوات على مرأى ومسمَع من جيلنا وبعضها اندثر منذ زمن سحيق ، ولا ندري عدد اللغات التي اندثرت منذ أن خلق الله الخليقة حتى عصرنا هذا، ولكن نعلم أن وتيرة الإندثار الآن في تزايد مستمر بفعل العولمة، وثورة الإتصالات ، وآثار القرية الكونية.

كتب ياريد دياموند قائلاً " إذا إستمر معدل إختفاء اللغات كما هو عليه الآن فإن لغاتنا الـ ٧،٠٠٠ في العالم سوف تتقلص إلى النصف خلال قرن أو إثنين والوقت ينفذ بسرعة. إن علماء اللغات يواجهون سباقا مع الزمن ويتوقعون أن تندثر بضعة مئات من اللغات بنهاية القرن الواحد والعشرين(١) " ويرىَ بعض علماء اللغات أنه لا يمكن الوقوف أمام هذا التحول الذي فرضته معطيات العصر، ولذلك من يريد أن يتخلى عن لغته لصالح لغة أخرى لمواكبة العصر وللاستفادة من معطياته الحديثة يجب أن لا يقهر لفعل ذلك قسرا ، بل يجب أن يكون ذلك بمحض الإرادة" وكتب عالم اللغات ميكائيل كراوس MICHAEL

KRAUSS" إن نصف اللغات الحية في العالم الآن لم يعد يتعلمها الأطفال وهذا يعني أنه في وقت ما من هذا القرن ستكون بضعة مئات من اللغات في عداد الميتة"(٢) وقد أوردت فضائية الجزيرة في عام ٢٠٠٥م بأن ٢،٥٠٠ لغة غير مكتوبة سوف تندثر حتى عام ٢١٠٠م ، وهناك لغة ما تندثر حالياً كل ١٦ يوماً (٣) وصرح عالم اللغات بيتر أوستين المحاضر في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن بأن وتيرة الاندثار في تزايد مستمر وأن عدد اللغات المهددة بالاختفاء حتى عام ٢١٠٠م قد يصل إلى ٣،٥٠٠ لغة " (٤). واللغات تتأثر أيضاً بفعل ترتيبات مقصودة. جاء في موسوعة "أنكارتا الإلكترونية". إن النصوص العربية في أفريقيا قد أستبدلت بالألفبائية اللاتينية على نطاق واسع بفعل الأوروبيين المستعمرين منهم والمنصرين ولا أحد يعرف عن مصير النصوص العربية الأصلية ويبدو إن تلك التصرفات لم تكن بدافع العبث بالموروث الثقافي لتلك الشعوب وحسب ، بل أيضاً للحيلولة دون تواصل تلك الشعوب مع الشعوب العربية من خلال الأبجدية العربية التي كتبت بها لغاتهم. واحدة من اللغات التي وجدت نصوصها مدونة بالأبجدية العربية هي السواحلية كما أن اللغة التركية استبدلت حروفها من الأبجدية العربية إلى الألفبائية اللآتينية لأسباب سياسية وبتصرف من نخب سياسية، ما يعني أن ثمة دوافع سياسية وثقافية قد يكون لها دورٌ ما في مستقبل لغة بعينها والعديد من اللغات في جنوب شرق آسيا التي كانت تكتب بالأبجدية العربية كتبها المستعمروين الأوروبيون بالحروف للآتينية مستبعدين الأبجدية العربية.

الأبجدية العربية في أفريقيا

في أفريقيا شمال الصحراء والقرن الأفريقي إنتشر التعليم الإسلامي باستخدام الأبجدية العربية مع انتشار الإسلام وكان التعليم الإسلامي (طلب العلم في الخلاوي والزوايا والكتاتيب والمدارس ثم في الجامعات الإسلامية كالأزهر الشريف والقيروان وتومبوكتو وغيرها) بمثابة التعليم النظامي للشعوب الإسلامية في أفريقيا حتى قدوم الإستعمار الغربي وبعد وصول الإستعمار بدأ النظام التعليمي الأفريقي يتحول إلى النمط الغربي دون التنازل كلياً عن النظام

الإسلامي في كثير من البلدان حيث لم ينتهِ دور الخلاوي والزوايا والكتاتيب من حياة المسلمين. جاء في موسوعة إنكارتا ما يلي بشأن التعليم النظامي في إفريقيا: "في عام ١٩٦٠م ، إنّ ٢٥% من أطفال أفريقيا في سن الدراسة كانوا في المدارس الإبتدائية وبالمقابل ٥٠% في أمريكا اللاتينية وجاء أيضاً "إن نسبة الأمية لدى البالغين في إفريقيا عام ١٩٧٠م كانت ٦٣% وانخفضت إلى ٤٤% عام ١٩٩٤م "ولم تحدد الموسوعة اللغة المقصودة في الأمية فإذا كانت اللغات الرسمية للبلدان الأفريقية هي المقصودة ، وإذا أغفل معدو التقرير في الموسوعة المذكورة منْ يقرأ الأبجدية العربية، ألا يعتبر ذلك عدم دقة في مفهوم الأمية؟

الأبجدية العربية والشعوب الإسلامية

اختلف التعامل مع الأبجدية العربية من شعبٍ لآخر منذ أن انتشر الإسلام في آسيا وأفريقيا فالأتراك ، والفرس ، والهنود ، والبشتون ، والسند ، والأكراد وشعوب جنوب شرق آسيا أضافوا على الأبجدية العربية بعض الرموز البسيطة دون أن يلغوها كلياً بحيث تنسجم مع الأصوات الموجودة في لغاتهم ، وبذلك حافظوا على لغاتهم الأصلية وعلى الحرف الذي تعلموا به عقيدتهم (الأبجدية العربية) أما في السودان والقرن الأفريقي ومعظم البلدان الأفريقية التي اعتنق كلٌ أو بعض سكانها الإسلام، ما حدث كان استخدام الأبجدية العربية كما وصلتهم ، حيث تعلموا بها القرآن الكريم والعلوم الإسلامية مع الاستمرار في استخدام لغاتهم المحلية للمحادثة في نطاق العشيرة والقبيلة ، الأمر الذي أدى إلى التواصل باللغة العربية بين العرقيات المختلفة وأخذت لغاتهم المنطوقة الكثير من مفردات اللغة العربية التي أصبحت عامل تواصل في إطار الإسلام على امتداد القرون الماضية حتى قدوم الإستعمار ، وتأثرت العديد من اللغات الأفريقية باللغة العربية ومفرداتها على نطاق واسع. جاء في دراسة للأستاذ محمود بيومي "أن ٢٠% من مفردات لغة الولوف مفردات عربية وأن ١٠% من مفردات لغة اليوروب عربية ، وأن ٥٠% من مفردات لغات الهوسا والفولاني والكاتوري تحتوي على ألفاظ عربية" (٥) أما اللغتان الساميتان في أثيوبيا وإرتريا (التجرينية والأمهرية) فهما أصلاً مشتقتان من لغة الجئز السبئية

المنـــدثرة وتحتويـــان إلـــى الآن عـــددًا كبيـــراً مـــن مفـــردات اللغـــة العربيـــة المعاصـــرة ، ولكـــن تأثرتـــا أيضـــاً بالعديـــد مـــن اللغـــات الحاميـــة والنيليـــة. أمـــا التجـــري وهـــي اللغـــة الأولـــى التـــي اشـــتقت مـــن لغـــة الجئـــز تحولـــت بـــبطء إلـــى لهجـــة مـــن اللهجـــات العربيـــة القديمـــة المتجـــددة بســـبب احتواؤهـــا مفـــردات ســـبئية كثيـــرة وتأثرهـــا ببنـــاء اللغـــة العربيـــة المعاصـــرة ومفرداتهـــا جـــراء التواصـــل الثقـــافي والـــديني المتواصـــل بـــين النـــاطقين بهـــا ونـــاطقي اللهجـــات العربيـــة المعاصـــرة لعشـــرة قـــرون (الدارجـــة الســـودانية ، اللهجـــة اليمنيـــة ، اللهجـــة الحجازيـــة، اللهجـــة الخليجيـــة) ويتواصـــل تمـــازج لهجـــة التجـــري مـــع اللهجـــات العربيـــة المعاصـــرة بإضـــطراد جـــراء اســـتخدام نـــاطقي التجـــري الأبجديـــة العربية في الكتابة والتعليم والعمل.

علاقة الدين بلغة التعليم في إرتريا

إن لغة التعليم في إرتريا ، كما في كل بلاد الشرق ، إرتبطت إرتباطاً وثيقاً بالتعليم الدينى. "لقد أكتشفت في الهضبة الإرترية نقوش جئزية عديدة أمكن تقسيم خطوطها إلى ثلاثة أقسام أو عهود". إن الخط السبئي لم يتسق إتساقا تاما مع نطق الجئز فأضطر الأكسُوميون في أول عهدهم بالمسيحية إلى إختراع الخط المعمول به الآن ، والذي أضافوا إلى حروفه شيئا يشبه الحركات وبأسلوب مستقل يجعله وسطا بين الخطوط السامية واليونانية" (٦). "هذا يعني إن تطوير وإعتماد الخطوط الجئزية الحالية كان من أجل تعليم الديانة المسيحية ، حيث إستمر التعليم الكهنوتي في الأديرة باللغة الجئزية القديمة حتى ظهور التعليم النظامي. وبعد ظهور المدارس النظامية صارت لغة التعليم "التجرينية" المكتوبة بخطوط الجئز. وتوجد حتى اليوم أديرة تعلم علوم الكهنوت في كثير من مناطق المرتفعات الإرترية ، وتوجد مئات من الكتب التاريخية النادرة والأسفار من العهد القديم في تلك الأديرة.

وعندما أسلمت قبائل المنخفضات الإرترية أخذت عقيدتها الإسلامية مع الأبجدية العربية ودرجت على تعليم القرآن الكريم والفقه الإسلامي لناشئتها حتى ظهور التعليم النظامي. وحدث نفس الشيء عندما تنصّر بعض الإرتريين من القبائل الناطقة بلهجة التجري بالمذهب البروتستانت بفعل بعض منظمات التنصير الأوروبية ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، حيث اعتمد المنصرين لهجة التجري وحروف الجئز لتعليم المؤمنين الجدد مبادئ دينهم ، وطبع لهم الإنجيل (العهد الجديد) وبعض الكتب الخاصة بالمذهب البروتستانت بخطوط الجئز ، إلا أن الأغلبية الساحقة من القبائل الناطقة بلهجة التجري ثبتت على إسلامها وعلى استخدامها الأبجدية العربية. أما قبل ذلك فليس هناك ما يشير في التاريخ التعليمي للمسلمين الإرتريين كافة عن تعليمهم بلهجاتهم المنطوقة. إنّ التعليم في إرتريا بدأ مرتبطاً بالحرف الذي اخذ به المؤمنين دينهم مثلما حدث في مناطق كثيرة من أفريقيا. وعندما أتيحت الفرصة للتعليم الحديث (العصري) في إرتريا استمرّ تعليم الناشئة بنفس الحروف التي أخذ بها الآباء عقيدتهم (المسلمين منهم والمسيحيين) ولذلك المدرسة الإبتدائية في قرية (قلب) الواقعة في (رورا منسع) في إرتريا مثلا كانت تدرس مناهجها بالتجري بحروف الجئز منذ بداية القرن العشرين ولم يعارض ذلك أحدًا، بينما بقية أبناء المسلمين الإرتريين ظلوا يتعلمون باللغة العربية كلغة تعليم في الفصول الأولية حتى تاريخ إلغاء الاتحاد الفيدرالي من قبل أثيوبيا.

ولا يعني هذا إنّ في إرتريا لغة مسيحية وأخرى إسلامية للتعليم. هناك مسلمون في الهضبة الإرترية يتحدثون بلغة التجرينية (الجبرتة) وظلوا يأخذون تعاليم دينهم باللغة العربية المعاصرة ، ومنهم من ألف كتباً عديدة باللغتين العربية والتجرينية.

وعندما أتيح التعليم النظامي للعامة في الأربعينيات من القرن العشرين درس أبناء المرتفعات المسلمين منهم والمسيحيين الفصول الإبتدائية باللغة التجرينية على حسب النظام دون أن يتخلّ المسلمون عن الأبجدية العربية نهائيا في الدروس الدينية ومن كان أهله في المناطق الإسلامية من الإرتريين المسيحيين درس الفصول الإبتدائية باللغة العربية دون أن يتخلى الآباء عن طقوسهم المسيحية. ولا يعني هذا أن يظل التعليم دينياً بحتا، لأنّ العصر الحديث له مطالبه. لكن المصلحون المسلمون يطالبون في كل مكان فقط ألا يغفل التعليم العصري ضرورة الدين في الحياة، وأن يبعث العلم روح التدين بربط المنجزات الإنسانية بالخالق الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

لقد حافظ المسلمون في إرتريا على الحرف العربي منذ أن أتاهم نور الإسلام ، شأنهم شأن معظم الشعوب الإسلامية في أفريقيا ، حيث استخدمت الأبجدية العربية للتعليم. إن القرآن الكريم والفقه الإسلامي وعلوم التوحيد كانت العمود الفقري في التعليم التقليدي للمسلمين قبل وصول الإستعمار، وتستخدم حتى الآن المفردات العربية المعاصرة في كل اللهجات الإرترية المنطوقة.

في الخلوة (الزاوية) يبدأ الدارس بالتعرف على الأبجدية العربية ثم يقرأ القرآن الكريم بالتدرج بدءًا من قصار السور، ثم الفقه الإسلامي، وفي مراحل متقدمة يتعلم النحو وعلوم الميراث ومبادئ الحساب، الخ.

ومصطلح التعليم النظامي مصطلحٌ حديثٌ نسبياً بالنسبة للمسلمين الإرتريين، (طلب العلم) هو المصطلح الذى كان متعارفًا عليه قبل وصول الإستعمار.

المكان التقليدي لطلب العلم الديني حتى الآن هو الخلوة (جمعها خلاوي) وأحيانا تعرف بالزاوية (جمعها زوايا) وغالباً ما تقع الخلوة أو الزاوية بجوار المسجد أو في داخل مسجد القرية . وفي لهجة التجري مثلا يعرّف طلاب العلم بـ "دْرَسَاءْ" على وزن فُعلاءْ (تنطق دَرَسَا) والمفرد "دَرَسَايْ". وفي مراحل متقدمة من مسيرة تعليمه يعرف بـ "طلبتايْ" وفي بعض البيئات من ديار التجري الخلوة تعرف ب "القرآن" ، والذي حفظ القرآن كاملاً يعرف بـ "حافظ قرآن" ، والذي درس الفقه يعرف بـ "فقيه" ، والذي درس الشريعة وأجيز فيها يعرف بـ "القاضي" ، والمقريء يعرف بـ "الشيخ" وإمام المسجد يعرف بـ "الإمام" والمؤذن يعرف بـ "المؤذن" وكل هذه المصطلحات أوردُتها للدلالة على معانيها وألفاظها المتطابقة مع اللغة العربية المعاصرة ، فما الذي استجد بعد استقلال إرتريا في

شأن التعليم الابتدائي؟ وهل مشروع "لغة الأم" من مطالب المسلمين الإرتريين؟ وهل ما نشاهده اليوم من محاولة استبدال الحرف العربي واللغة العربية وتهميشها بحجة الاختيارية في التعليم بنوع من الدهاء والمكر، وشيء من التنكر أمر طارئ أم له امتداد تاريخي في إطار الصراع اللغوي المحتدم دائماً بين السكان المسلمين والقوة المسيطرة على الحكم في إرتريا؟

هذه الأسئلة وغيرها سوف أحاول الإجابة عليها من خلال التسلسل التاريخي المختصر الذي سوف يأتي في الصفحات التالية.

الأبجدية العربية في عهد الخلافة العباسية والعهد العثماني في إرتريا

كتب الأب إسحاق قبريسوس "إن سكان المرتفعات الإرترية ، ظلوا يقاومون الزحف الإسلامي الذي بدأ ينتشر بإتجاه الجنوب منذ القرن السابع الميلادي، وقد أسفرت تلك المقاومة المستمرة والعنيدة على إبقاء المسيحية في المنطقة المعروفة اليوم بالهضبة الإرترية وما وراءها جنوباً ، إلا أن عملية التعريب قد تمكنت بعض الشيء من سكان المنخفضات منذ أن إعتنقوا الديانة الإسلامية"(٧) .

دلت النقوش الحجرية في المدافن وغيرها والتي اكتشفت في جزر دهلك الإرترية بأن اللغة العربية استخدمت على نطاق رسمي وشعبي في هذه الجزر عندما كانت مركزا إدارياً للبر الأفريقي في عهد الدولة العباسية ، حيث بدأت الحركة العلمية للمسلمين الإرتريين في جزر دهلك إلا أن تلك الحركة لم تتواصل ولم تنتشر إلى العمق الإرتري لعدة عوامل تاريخية. وانتشرت الأبجدية العربية مع انتشار الإسلام بين المجموعات السكانية في إرتريا. فعندما يأتي الداعية أو الدعاة وغالباً كانوا يأتون أفرادا أو مجموعات من الذكور دون الإناث ، كانوا يتصاهرون مع السكان المحليين الذين يسكنون معهم ويعلمونهم القرآن والتعاليم الإسلامية ، وتأخذ ذرية الدعاة لسان أهل أمهاتهم فيما بعد ، ولذلك نجد الآن في القرن الأفريقي قبائل كثيرة تنتسب إلى الصحابة أو إلى دعاة من جزيرة العرب وبعضهم يحتفظ بأنسابهم مكتوبة إلى الآن ، بينما لغتهم لم تعد عربية. وبعد أفول عهد دهلك وتوقف الدعاة من الجزيرة العربية كان طالب العلم الإرتري يؤم مكة المكرمة والمدينة المنورة وزبيد باليمن والأزهر الشريف، وفيما بعد سنار ومراكز أخرى بشرق السودان في عهد ازدهار السلطنة الزرقاء.

ولكن أعداد طالبي العلم كانت تتضاءل كلما اضطربت المنطقة جراء الغزوات من جانب الحبشة . وبما إن نسبة من يقرأ ويكتب بالنسبة للأميين في كل العالم كانت متدنية في العصور الوسطى ، نسب قليلة جدًا من المسلمين الإرتريين وجدوا الفرصة لتعلم الأبجدية العربية ، وحفظوا القرآن الكريم في المساجد والخلاوي ، وقليلون منهم أتيحت لهم فرصة الذهاب إلى خارج منطقتهم.

ولم ترتفع نسبة قُراء العربية ارتفاعاً ملموساً بعد أن احتلت الخلافة العثمانية منطقة شمال شرق أفريقيا التي تقع فيها إرتريا ، لأن الدولة العثمانية لم تهتم بالتعليم وبنشر اللغة العربية في كل الوطن العربي وأصاب المسلمون في إرتريا ما أصاب العرب في مجال نشر اللغة العربية .

كتب الكتور محمد منير موسى ، أحد التربويين العرب ما يلي تحت عنوان "وطن خضع لنير الإستعمار" فقد وقع العالم العربي طيلة خمسة قرون تحت الحكم التركي العثماني، وهي فترة تميزت بأنها عصر الظلام في تاريخ الشعب العربي. كما سبق أن أشرنا عمل الأتراك خلال هذه الفترة على

قبر اللغة العربية والثقافة العربية وإعلاء شأن اللغة والثقافة التركية. وجاء على البلاد العربية في تلك الفترة حين من الدهر كانت اللغة التركية هي اللغة الرسمية وتدريسها إجباري في المدارس. أما اللغة العربية فكانت تعيش على هامش الحياة وكانت تدرس كلغة أجنبية ، وقدّم الأتراك إلى العالم العربي نظام الحريم الذي أدى إلى تخلف المرأة اجتماعياً وثقافياً ، وعمل على حرمانها من التعليم. وتسببت السياسة التعليمية التي اتبعتها الدولة العثمانية على تأخر التعليم العربي الحديث بين المسلمين دون غيرهم ، ولهذا السبب انتشر التعليم الحديث بين المسيحيين العرب قبل المسلمين ، ولهذا السبب أيضاً كان معظم الكتاب والمؤلفين والخطباء الذين ظهروا في الولايات العربية في العهد العثماني مسيحيين بالرغم من قلة عددهم بالنسبة إلى المسلمين . كما أدت هذه السياسة أيضاً إلى انتشار المدارس الأجنبية والتبشير بها في البلاد العربية وما ترتب على ذلك من نتائج خطيرة على تطور المجتمع العربي" (٨) .وجاء في صحيفة عكاظ السعودية تحت عنوان – "أبناء جدّة يتعلمون تحت جنح الظلام خوفاً من الأتراك" ، الدولة التركية تركت جدة تغرق في أميتها حتى أصبح من المتعذر أن تجد من يقرأ خطاباً وحينما تحركت الدولة التركية خطوة لإنشاء التعليم النظامي ، لم تجد ضيراً في أن تتجرف به عما ينبغي أن يكون عليه ، لذلك افتتحت المدرسة الرويشدية أمام مسجد الباشا لكي تعلم اللغة العربية بالتركية . هال أهل جدّة الأمر ولم يجدوا بدًا من مقاومة التتريك بإنشاء مدارس نظامية تعلم اللغة العربية ، فكان إنشاء مدارس الفلاح بجدة مطلع القرن الميلادي العشرين" (٩). والجدير بالذكر إن "مدارس الفلاح" ظلت قائمة بدورها التعليمي والتربوي وبجدارة حتى اليوم. مما ذكر ندرك مدى الحرمان الذي فرضته الدولة العثمانية على الحواضر العربية فضلا عن الهجر والبوادي. أما في إرتريا فلم تفكر الدولة التركية أن تؤسس مدرسة حتى لتدريس اللغة التركية ناهيك عن اللغة العربية ، لأن الخلفية غير العربية والسياسة الرسمية تجاه اللغة العربية حالت دون نشر التعليم واللغة العربية فى المناطق الشاسعة التي إحتلتها من إرتريا ، ورغم ذلك إعتمد المسلمون الإرتريون على إمكاناتهم المتواضعة وعلى الدعاة الذين كانوا يأتون من شمال السودان ومن الجزيرة العربية لتعليم الأبجدية العربية ونشر الدين الإسلامي في سبيل الله على طول العهد التركي الذي بدأ منذ ١٥٥٧م وإستمر حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ولذلك ظلت الثقافة العربية متقدة في وجدان المسلمين رغم قيام دولة غير عربية عليهم لعدة قرون ، ولم يَعتبر المسلمين الخلافة العثمانية دولة أجنبية في بداية الأمر ، بل رأوا في قيام تلك الدولة عليهم دليل إنتمائهم إلى الأمة الإسلامية ، رغم ما كان من المآخذ الكثيرة والخطيرة على العساكر الأتراك وعلى تجاوزاتهم غير الإنسانية.

الصوفية وأثرها على المسلمين الإرتريين في تعلم اللغة العربية

كتب الأستاذ محمد سعيد ناود عن الطرق الصوفية في شرق السودان وإرتريا بإسهاب قائلا "ساهمت الطرق الصوفية والأسر الدينية بدور كبير في نشر الإسلام. فقبائل الساحل والبني عامر انتشر فيها الإسلام منذ القرن العاشرالميلادي. وكان للشيخ حامد ود نافعوتاي وأبناؤه من بعده دورًا كبيرًا في نشر الإسلام بين قبائل الحباب والبني عامر في إرتريا وشرق السودان. وهناك الطريقة الختمية أو الميرغنية، وأصلها جاء عن طريق الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي الذي كان معلما وداعية في مكة المكرمة من ١٧٩٧م إلى ١٨١٣م ، ولقد أوفد تلميذه الشهير السيد محمد عثمان الميرغني بصحبة السيد محمد علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية إلى أفريقيا لنشر الدين الإسلامي. كما أن آداب الصوفية من المدائح في ذكر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخلفائه ومناقبهم تقام لها حلقات وبالذات ليلة الجمعة والاثنين. وقد نمت الثقافة العربية الإسلامية في شرق السودان وشمال وغرب إرتريا في كنف الطرق الصوفية كالختمية ثم الشاذلية والسمانية والأحمدية والقادرية. وقد أسست هذه الطرق الكثير من المساجد والخلاوي القرآنية". وأضاف "ومن الأسر الدينية التي لها الفضل في نشر الدين الإسلامي من خلال زوايا القرآن الكريم بيت شيخ محمود ومركزها زولا – جنوب مصوع – على شاطئ البحر الأحمر وعد سيدنا مصطفى ود حسن في بركة بالقرب من مدينة أغردات وعد كبيري في الهضبة الإرترية وهم في الأصل من سكان جزر دهلك القدماء وعد درقي وعد معلم في شمال إرتريا وغربها وشرقها وغيرهم من الأسر والأفراد "وهناك دعاة من فاعلي الخير المجهولين نشروا الدعوة الإسلامية وسط هذه القبائل"(١٠). و لقد أورد المؤلف في مؤلفه "عمق العلاقات العربية الإرترية " أسماء مجموعة كبيرة من المشايخ الذين أسسوا الخلاوي القرآنية في كل من إرتريا وشرق السودان (١١).

الطريقة التقليدية العريقة في تعليم الأبجدية العربية للأطفال المسلمين في إرتريا

من الأمور التي تستدعي الانتباه ، إن العديد من مشايخ الزوايا (الخلاوى) في إرتريا وشرق السودان لا يزالون يعلمون الأبجدية العربية من خلال الإنشاد بعد كتابة الحروف العربية

في لوح خشبي كما يلى:

آنَ	اينَ	أونَ
بَانَ	بـِينَ	بـُونَ
تَـانَ	تـِينَ	تـُونَ
ثَـانَ	ثـِينَ	ثـُونَ
جَـانَ	جـِينَ	جـُونَ
حَـانَ	حـِينَ	حـُونَ

بحيث يتلقاها الناشئ تلقيناً بواسطة أحد الطلاب الكبار ويكرر الصغير ترتيلها نشداً إلى أن يحفظها ثم ينتقل إلى مقطع آخر وهكذا إلى أن يكمل الأبجدية ثم يبدأ في تعلمّ الحركات بنفس الطريقة الأولى ويكون الإنشاد في الحركات بين القارئ والمقرئ هكذا:

المقرئ	القارئ
أ نصبة	أ
إ خفضة	إ
أ رفعة	أ

وتكتمل الأبجدية هكذا. (لاحظ كلمات – نصبة – خفضه – رفعة) ويقصد بها أسماء الحركات المعروفة الفتحة والكسرة والضمة على التوالي. ثم يبدأ الدارس الصغير كتابة الأبجدية وقراءتها نشدًا لوحده ، ثم يحفظ الفاتحة بمساعدة شيخه ، ويتمرن على الكتابة وينطلق إلى قصار السور القرآنية بدءًا من سورة "الفاتحة" ، ويؤمر ليرفع صوته على قدر المستطاع ليسمع الشيخ قراءته من بين أقرانه، ويتعود على القراءة مع أقرانه بشكل جماعي ولكن يقرأ سورته التي في لوحه فقط ربما ليتربّى على العيش مع الجماعة والتفاعل معها في حياته المقبلة ، دون التنازل عن خصوصيته.

ويتدرج الطالب إلى أن يكمل القرآن الكريم وإذا كتب الله له ، يواصل تعليمه الديني إما خارج منطقته أو ربما يسافر إلى البلدان المجاورة لدراسة القرآن الكريم وحفظه وتلقى العلوم الشرعية والفقهية. والجدير بالذكر لقد سمعت ذات مرة الدكتور طارق السويدان (١٢) يقول في حديث تلفزيوني إن طريقة التعليم من خلال الأناشيد والغناء الجماعي هي من الطرق المعتمدة للتعليم في الغرب. ومن الملاحظ إن الطالب الذي كان يأتي إلى المدرسة النظامية بعد تعلم الحرف العربي في الخلوة (الزاوية) كان يتميز عن أقرانه ويتفوق عليهم في كل المواد ولا سيما في نطق العربية الفصحى. ولوحظ في السنين الماضية إن الحكومة الإرترية كثفت من بناء مدارس الروضة والتمهيدي (التعليم ما قبل الإبتدائي) بلغة الأم في المناطق الإسلامية ، وهي الفترة الزمنية التي يتعلم فيها الطفل المسلم قصار السور الخاصة بالصلاة.

لغة التعليم النظامي بعد قدوم الإستعمار الإيطالي إلى إرتريا

كتب الدكتور أمين توفيق الطيبي في مقالة له تحت عنوان "قبائل بني عامر : أصول عربية ومصاهرات أفريقية" قائلا "إن قبائل بني عامر لم تعترف بتاتا بسيادة ملك الحبشة عليها لا سيما بعد قيام سلطنة الفونج الإسلامية في سنار في العام ١٥٠٤م" (١٣) ، وكذلك كان نضال المسلمين الإرتريين ضد أثيوبيا في القرن الماضي بدافع الزود عن الهوية الوطنية المستقلة ، والدفاع عن ثقافتهم العربية ورفضًا للإجتزاء عن الأمة العربية، والرغبة التاريخية للعيش تحت ظل حاكم محلي راشد يلبي إحتياجاتهم الثقافية في إطار حقوقهم الوطنية ، ولذلك أيضا قاوموا الإستعمار الإيطالي من قبل وإن لم يتمكنوا من أن يمنعوا سيطرته على بلادهم.

بدأت إيطاليا تحركاتها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر لنيل نصيبها من تقاسم القارة السمراء (أفريقيا) وذلك بترديد دعاوي باطلة مثل "تدهور الأمن على شواطئ البحر الأحمر الجنوبية وضرورة إستتبابه ولا سيما في منطقة دنكاليا" وتصرفت كأنها الموكلة بحفظ الأمن في تلك المنطقة ، وعينها على موارد المنطقة والسيطرة عليها فقط. وبعد فترة وجيزة حطت رحالها في ميناء مصوع وبدأت بانتزاع مناطق قبائل التجري والساهو والبلين والنارا والكوناما من الدولة الخديوية تباعاً بعد ما أخلتها مصر دون مقاومة حيث تركت السكان لقدرهم مع المستعمر الجديد ، كما ضمت مناطق الهضبة الإرترية المعروفة بحماسين وسرايى وأكلي قوزاي ، وكانت تلك المنطقة تتمتع بحكم ذاتي نسبي وتحظى بظل من النفوذ التجراوى حينذاك"(١٤) .

استهلّ الإيطاليون حكمهم في إرتريا بحالة من العنف حيث أصدروا قانونا أسموه "قانون التهدئة العامة" وكان بمثابة قانون طوارئ يعتقل بموجبه أي مواطن بالإشتباه ويسجن إلى ما لا نهاية وربما يقتل. أستخدمت جزر نائية موبوءة في البحر الأحمر كمعتقلاتٍ للسجناء السياسيين ، وليس معلوماً حتى اليوم كم من الوطنيين قضوا في تلك الجزر أو قتلوا فوراً بموجب قانون التهدئة العامة.

إستمر حكم الإستعمار الإيطالي في إرتريا لأكثر من ٥٠ عاما كانت كلها إستغلالا ، ونهبا للموارد ، وانتهاكا للحقوق الإنسانية ، وفصلا عنصريا والأخطر من كل ذلك التجهيل والحرمان عن التعليم عمدًا ، وحصره على فئة قليلة جدًا وحتى الصف الرابع الإبتدائي فقط ، وحرمان السواد الأعظم من المواطنين عن اللحاق بركب المعرفة والتطور. وقد ذكر لي أحد الآباء المطلعين على التاريخ الإرتري الحديث (وهي معلومة لم أجدها موثقة في أي كتاب حتى الآن) إن الطليان وبعد أن استقر بهم المقام في إرتريا شرعوا في ترتيب الأمور وبالاهتمام بالسكان وشؤونهم اليومية ، وأوعزوا إلى المنصِّر السويدي روديين أن يعرض على السكان فتح مدارس وجعل لهجة التجري المكتوبة بحرف الجئز لغة التعليم. رفض السكان المسلمين عرض المنصِّر السويدي الذي كان يدير منظمة تنصيرية (١٥) وأصروا أن يُستقدم لهم مدرسين من مصر وأن تكون لغة تعليمهم اللغة العربية. وافقت الحكومة الإيطالية على مضَض وكان ذلك في عام في ١٨٩٤م . وقد اتضح فيما بعد بأن تلك الموافقة كانت إجراءًا تكتيكيا مؤقتا ولم تكن إستراتيجية رسمية ولذلك سرعان ما أوقفت العملية التعليمية عامة وانحصر التعليم العام في مدارس المنصَّرين وبعض المدارس الإبتدائية التي كانت تديرها الحكومة الايطالية ويؤمها أبناء الزعماء والأغنياء والأعيان فقط على قلتهم وكان منهجها ينحصر على مبادئ الحساب والقراءة والكتابة ، واللغة الإيطالية وتاريخ إيطاليا ، ولغتها بما يفي ومتطلبات التفاهم مع المستعمرين الطليان. وبعد عدة سنين أدخلت اللغة العربية كمادة دراسية بعد إلحاح المواطنين (القلة التي أتيحت لهم الفرصة) ولكن في مستهل القرن العشرين ورغم الكبت الإيطالي ، ثم جراء تحسن وسائل المواصلات والإتصالات حدث شيء من التواصل التجاري والثقافي والديني بين المسلمين الإرتريين وجيرانهم اليمنيين والسودانيين ، وسرعان ما بدأ الناس يتحدثون اللغة العربية المعاصرة كلغة تجارة في الأسواق بجانب اللهجات المحلية ، وحدث مزيدًا من التمازج بين اللهجات الإرترية واللغة العربية المعاصرة وبالرغم عن الترتيبات الإستعمارية في مجال التعليم.

إن المسلمين في إرتريا كانوا دائماً يتمسكون بحد أدنى من التعليم الإسلامي ، فعند وصول الطليان كانت المسيرة الثقافية والتربوية مؤسسة على النظام الإسلامي التقليدي على بساطته ، وكان بالامكان تطويره إلى التعليم النظامي كما حدث في شمال السودان ووسطه ولكن خطط الإستعمار الإيطالي لمشروع تجهيل منظم يقضي بحرمان السواد الأعظم من الناس من التعليم ، وهو توجه كان لا يخلو من الكيد السياسي ، ويمهد للاستيطان ، وربما كان مرد ذلك توجس الطليان من انتشار اللغة العربية في إرتريا ، بعد أن وجدوا الشعب الإرتري المسلم يتوق لنشر اللغة العربية وعلومها وجعلها لغة تعليم لأبنائهم ، ولم يستسلم السكان لذلك الواقع الذي فرض عليهم بالقوة الخارجية ، فقامت الخلاوي والزوايا القرآنية بدورها التعليمي على شكله التقليدي وعلى قدر المستطاع ، كما كان سائدًا منذ العهد ين التركي والخديوي وما قبلهما ، وأسهمت هذه الزوايا في المحافظة على الهوية العربية الإسلامية للمنطقة".

ورغم منعها نشر التعليم في إرتريا في بداية عهدها ، أضطرت إيطاليا الفاشية لإصدار "الجريدة اليومية الإرترية" عام ١٩٢٨م ، والجريدة العسكرية (سافويا) عام ١٩٣٤م لأغراض تعبوية حيث كانت تستعد لغزو الحبشة.

وفي عام ١٩٣٦م أصدرت المجلة الأسبوعية "بريد الإمبراطورية" باللغة العربية بعد ما رأت نجاح المطبوعتين السابقتين وتهافت المسلمين على شراء الجرائد العربية (١٦).

وعندما خرجت إيطاليا من إرتريا مهزومة أثناء الحرب العالمية الثانية بعد إستعمار دام أكثر من ٥٠ عاما ، كانت في البلاد ٢٣ مدرسة إبتدائية تحوم مناهجها حول إيطاليا ومجدها وكان ذلك لا يفِي بأدنى مستوى تنموي للبلاد لأن السقف النهائي كان لا يتعّدَ الصف الرابع.

ولقد إتضحت مرامي سياسة التعليم الإيطالية بُعيدَ الحرب العالمية الثانية، فعندما أتيحت للإرتريين فرصة تقرير المصير، لم يتمكنوا من توحيد أهدافهم الوطنية ، وتحديد مطالبهم الحقيقية في الوقت المناسب بالرغم من المشاعر الوطنية الجياشة التي انتابتهم ، ولذلك لم يستطيعوا تحديد خياراتهم الصحيحة والتوحد حولها لأن السواد الأعظم من السكان حرم من التعليم العصري ومن الثقافة الوطنية

المناسبة لعشرات السنين ، ولذلك خلطوا الحابل بالنابل وانشغلوا بسفاسف الأمور عوضا عن قضيتهم الكبرى ، وانقسموا إلى قبائل وعشائر وأفخاذ ، وإلى نبلاء وأفقان ، وضرب الإستعمار الحديث وأثيوبيا التوسعية إسفينا على وحدتهم الوطنية، ونسوا قضيتهم الكبرى (وكانت أسباب أخرى عديدة) ، والنتيجة أضحت إرتريا من جديد لقمة صائغة بين فكيْ مستعمر جديد ، ولكن هذه المرة مستعمر أسود ، ألا وهو (هيلي سلاسي الحبشي).

إن مئات الآلاف من أبناء إرتريا يكابدون منذ أكثر من نصف قرن حتى هذه اللحظة الآثار المدمرة التي ترتبتْ على ذلك الخطأ التاريخي الفادح الذي ساهم فيه الإستعمار الحديث بشكل مباشر، ألا وهو ربط إرتريا مع إثيوبيا فيدرالياً . إن مأساة الإرتريين الحالية بدأت منذ اليوم الأول لارتباط بلدهم مع إثيوبيا ،

عشرات الآلاف قضوا نحبهم ، ومئات الآلاف تركوا منازلهم واستقروا في بلدان أخرى مع ما يرافق ذلك من أضرار مادية ومعنوية عليهم ، ومن بقى منهم في البلاد يكافح للبقاء على قيد الحياة ، يصارع الجهل والمرض والفقر وكبت الحريات مع تحرش أثيوبيا المستمر لغزو عسكري جديد. حدث ذلك لأسباب عديدة ، منها ما نحن بصدده في هذه الدراسة ، ألا وهو قرار إيطاليا ألاّ توجد نخبة متعلمة كافية من أبناء إرتريا تقود مرحلة تقرير المصير وتستشرف المستقبل بواقعية ، حيث لم تتح لجيلين ولفترة امتدتْ لأكثر من ٥٠ عاما ثقافة أكاديمية عصرية وتربية وطنية ، كما لم يترك للسكان الفرصة لتطوير ثقافتهم الدينية التقليدية حتى يتمكنوا من قراءة ماضيهم وتحديد ثوابتهم الوطنية وتدبر أمرهم ومستقبل أجيالهم بفكر واع ، والإلتفاف حول قياداتهم الأهلية والدينية.

لهجة التجرى كانت حصان طروادة للمستشرقين في إرتريا

لحاجة في نفس يعقوب ، اهتم الاستشراق بلهجة التجري منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ولذلك معظم الدراسات والأعمال المتوفرة عن لهجة التجري حتى الآن نجدها من أعمال المستشرقين ، منهم المؤرخ والباحث الإيطالي كونتي روسيني ، الذي يقول في كتابه "تاريخ إثيوبيا" إن لهجة التجري هي أساسا لهجة بجاوية إلا أنها تأثرت باللغات السامية ، ولم يفصح هذا الباحث الإيطالي عن تلك اللغات (هل كان يقصد العربية أم التجرينية أم كلاهما)؟

وكتب إسحاق قبريسوس عن شعب ألبجه قائلا: "إن الفرع الثاني من ألبجه في إرتريا هم الذين يستوطنون المنخفضات الإرترية والذين دخلوا إلى اللغة الحبشية الثانية "التجري" كليا جراء قوانين عاشرا الشعبي ، ويعترف هذا الفرع أيضا بأصله البجاوي ، ويستوطن جزأ من هذا الفرع شرق السودان" (١٧) وبعض العلماء اللغويين منهم "مارسيل كوهين" يعتبر التجري لهجة من لهجات العرب التي تأثرت ببعض اللهجات الحامية بحكم تقادم الزمن والتجانس الثقافي ثم تطورت من جديد إلى أن وصلت إلى وضعها الحالي القريب من اللغة العربية المعاصرة " (١٨)

إذن هناك آراء مختلفة ومتباينة عن هذه اللهجة ولكن سواء كانت أصلا بجاوية كما يرَى بعض الباحثين الغربيين أو حبشية، أو عربية قديمة ، فإن إرادة ناطقيها لم تؤخذ قط في الحسبان ولاسيما في مسألة التعليم في إرتريا حتى الآن وكأن الأمر لا يعنيهم. أما في شرق السودان بما في ذلك المناطق التي يتحدث سكانها لهجة التجري (وتعرف برطانة البني عامر والحباب في السودان) لم يسجّل أي تذمر من لغة التعليم المعتمدة (اللغة العربية).

من أعمال المستشرقين عن لهجة التجري

١ - مجلدات أينو ليتمان

جمع المستشرق الألماني ، اينو ليتمان أشعار التجري في ٤ مجلدات ، وكتبه بالأحرف اللاتينية ثم طبع بعد ذلك بالأحرف الجنزية في عام ١٩١٣م .ويبدوا إن هذا العمل كان في إطار حملة علمية بحثية وليس حملة تبشيرية ، بدليل إن ليتمان لم يستقر في إرتريا بل عاد فورا الى بلاده، والبعثة أطلق عليها اسم حملة جامعة برنستاون ، لأن لتمان انطلق من جامعة برنستاون الأمريكية التي كان يعمل فيها أستاذا جامعياً.

ولقد عثرت على أكثر من ٧٠٠ قصيدة من شعر التجري مكتوبة بحروف الجنز في مجلدين. إن هذه المجلدات تستحق الشرح والتحقيق العلمي ، والترجمة إلى العربية على الأقل لنشر وتوثيق تراث هؤلاء الشعراء ودمجهم في التراث العربي ، حيث يلاحظ كثرة المفردات العربية المدفونة في كل قصيدة بل في كل بيت من هذه القصائد.
يذكر إينو ليتمان في مقدمة مجلداته بأن الشعراء الذين نقل عنهم القصائد أبلغوه إن لهجتهم ليست مكتوبة وإنهم يتوارثون الشعر كابرًا عن كابر عن طريق الحفظ في الصدور وليس في السطور.

٢ - كتابات أولندورف

ألف أولندورف كتابا بعنوان "اللغات السامية في إثيوبيا" ونشره في عام ١٩٥٥م "وكان أولندورف يعتقد إن التجري تتقهقر لصالح العربية المعاصرة كلما كثر عدد المتعلمين من المسلمين الإرتريين الذين يتخذون العربية المعاصرة لغة ثقافة لهم. وتوقع احتمال اندثارها إذا ما انتشرت اللغة العربية بشكل واسع في إرتريا وشرق السودان" ، ولم يسلم اعتقاد أولندورف من مآرب استعمارية ، وربما منع الإستعمار الإيطالي ناطقي التجري وبقية السكان في إرتريا التعليم كافة لكي يحرمهم من استخدام اللغة العربية المعاصرة في تعليم أبنائهم ، حدث

ذلـك قبـل ٧٠ عامــاً مــن كتــاب أولنــدورف. وحتــى فــي أيامنــا هــذه هنــاك إشــارات تــوحي باهتمـــام إيطاليـــا بالجانـــب الثقـــافي والتعليمـــي فـــي إرتريـــا طبقـــاً لأجنـــدتها الخاصة.

٣- الإرساليات التبشيرية

كتبــت الإرســاليات التبشــيرية الســويدية ، وكــذا البعثــة الكاثوليكيــة عــددًا مــن الكتــب الدينية بالتجري بحروف الجئز.

٤- دلمان

كتــب دلمــان كتابــه المعــروف عــن اللغــات الســامية فــي أفريقــا ، وشــرحه منزنجــر فــي منتصف القرن التاسع عشر بقاموس.

٥ - بالمر

ألــف بــالمر كتابــاً بعنــوان " بنيــَة الاســم فــي لهجــة التجــري" (أكســفورد ١٩٦٢م) THE MORPHOLOGY OF THE TIGRE NOUN .(١٩)

٦ - ماري كلود سايمون ومارتن فان هوف

فــي عــام ١٩٩٦م شــرعت باحثــة اللســانيات الفرنســية "مــاري- كلــود ســايمون ســنيل وزميلهــا مــارتن فــان هــوف" فــي دراســة اللكنــة الدهلكيــة لحســاب المركــز الفرنســي للأبحــاث العلميــة ، وعمــل هــؤلاء البــاحثون علــى إصــدار قــاموس، أطلــق عليــه اســم "فرنســي – دهلــك وطبــع بالألفبائيــة اللاتينيــة" , والحقيقــة إن الــدهالك ، هــو الاســم الــذي يطلقــه الإرتريــون علــى ســكان جــزر دهلــك الــذين يبلــغ تعــدادهم أكثــر مــن ٣،٠٠٠ نســمة وهــم يتحــدثون لهجــة التجــري ولكــن بلكنــة تختلــف عــن بقيــة لكنــات التجــري ، حيــث يشــعر المــرء حقيقــة بأنــه أمــام لهجــة مختلفــة للغايــة، ولكــن بعــد تجــاذب أطــراف الحــديث معهــم بإمكــان نــاطق التجــري أن يفهــم الدهلكيــة بنســبة لا بــأس بهــا لأن الــدهالك يســتخدمون بنــاء لغــة التجــري فــي صــياغة مفــرداتهم ويجيــدون التجــري بلكنــة أهــل مصــوع لأن مينــاء مصــوع هــي اليابســة الأقــرب إلــيهم. ربمــا العزلــة الطويلــة فــي جــزرهم أجبــرتهم علــى إنتــاج أصــوات ومفــردات خاصــة بهــم، تراكمــت عبــر الســنين. كمــا إن احتكــاك الصــيادين العفــر واليمنيــين بهــم أســفر عــن

استخدام عدد من المفردات العفرية والعربية المعاصرة بكثرة وصاروا ينطقونها على قاعدة بنية لهجة التجري ، بإضافة " ت" في نهاية الاسم و "ته" للضمير. "قالت الباحثة الفرنسية" على الرغم من أن الدهالك (وتقصد لهجة الدهالك) لصيقة جدًا بالعربية وبالتجري إلا أنها تعتبر لساناً مختلفا " (٢٠).

وهذه هي شيم الإستعمار والاستشراق في البلدان التي يغزونها ، فهم دائماً يجزؤون المجزأ ويباعدون المتباعد أصلا، ويستبدلون الأبجدية بحروفهم اللاتينية.

رسالة بعثة جامعة برنستون

فيما يلي نص الخطاب الذي أرسله إينو ليتمان إلى جورج جاكوب بعد ما انتهى ليتمان من جمع وتأليف ٧١٧ قصيدة من شعر التجري في أربعة مجلدات تحت عنوان "أغاني التجري" (بعثة جامعة برنستون) - الخطاب مترجم من اللغة الألمانية إلى الإنجليزية ومن ثم إلى العربية.

ليت بديل ليمتد طباعون وناشرون

ليدن ١٩١٣م

جورج جاكوب

إلى المعلم والصديق

فإن المقدمة ومذكرات المجلد الثالث للتجري قد نشرت باللغة الألمانية ، كما نشر المجلد الرابع لبعثة جامعة برنستاون بإذن من صديقي روبرت فاريت. إن الجمع والاعداد ، والترجمة والتعليق على أغاني التجري المنشورة هنا ، قد أستهلك وقتاً وجهدا كبيرين في عام ١٩٠١م تكرم عليّ سندريوم (وهو مبشر يستحق الإشادة بالنسبة إلى اكتشافات المنطقة الواقعة شمال الحبشة) وأرسل لي مجموعة تحتوي على أكثر من ٢٠٠ أغنية من شعر لهجة التجري ، وذلك كان عندما كنت في جامعة برنستاون في نيوجرسي وقد حاولت أن أجد لها فهماً سريعاً ، كونها تحتوي أدباً مهماً وتمكنت من توصيل بعض مضامينها إلى مؤتمر المستشرقين الذي عقد في همبورج ، وبالإمكان الإطلاع على تقريري في سجلات مناقشات مؤتمر المستشرقين الثالث عشر (ص ٢٧٣) غير إن الاكتشاف الحقيقي كان مستحيلا دون مساعدة مترجم محلي ، ولذلك انتظرت

الفرصة المناسبة. ومن جهة أخرى استمرّ السيد ساندريوم في جمع الأغاني ولكن المجموعة الأولى كانت من عمل البعثة السويدية بمن فيهم السيد روديـن في مرحلة مبكرة بدأ السيد ساندريوم بأخذ مذكراته منفرداً ، وأصبح لديه مجموعة مهمة من القصائد ، وأرسلت إليه صورة من مجموعتي الأولى فيما بعد ، وأكملها تصحيحاً في بعض النقاط، عندما وصلتُ إلى روما في عام ١٩٠٥م في رحلتي إلى الحبشة ، قابلت السيد كونتي روسيني ذلك العالم الفذ الذي يدين العلم والتاريخ له بالكثير لمساهماته القيمة في كشف معلومات كثيرة عن منطقة شمال الحبشة وكان لطيفاً معي إلى أبعد الحدود، وتكرم عليّ بمجموعة من أغاني التجري للنشر ولكن لم أجد الوقت الكافي للعمل فيها إلا بعد عودتي إلى ألمانيا وختاما ، نافع ود عتمان ، ذلك المواطن الذي لا يُنسى ، والذي كرستُ صفحات في ذكر انجازاته في المجلد الأول من هذه المنشورات، ولقد سجلتُ أغنيتان من فتى من قبيلة المنسع قابلته بالصدفة في القاهرة. إن المجموعة الكاملة وهي تحتوي على ٧١٧ أغنية (قصيدة) والتي أزيح الستار عنها للجمهور، تتضمن على ما يلي :

مجموعة قديمة : دونت من قبل أعضاء من البعثة السويدية قبل ١٩٠١م

١٩٣ أغنية : وهي مجموعة حديثة نسبياً ، سجلت بيد السيد ساندريوم ، أو

مجموعة قديمة صححها.

٣٦٠ أغنية : مجموعة كونتي روسيني ونافع ود عتمان.

١٦٠ أغنية بما فيها أغنيتان سجلت من قبلي في القاهرة.

سوف أتناول قليلا عن التهجيء والعلامات التي وضعت لنصوص لهجة التجري ، بالطبع ألتزمت ببعض القوانين التي وضعت للمجلد الأول وقد ذكرت ذلك بالتفصيل في صفحة ١٤ وأجريت تعديلا واحداً فقط بالنسبة للتهجئة ، حيث كتبتُ الألف (أ) والتي غالبا ما تنطق قصيرة بصوت لين دون حرف علة (إي أو الخ) لقد نوهت بوضوح بأن هناك بعض الانحرافات في الكلمة المكتوبة عندما تنطق ، وبالذات في أصوات الجمل، كثيراً ما تنطق (ت) في الأصوات الساكنة مثل (د) وفي بداية الكلمة نجد دائماً أن التاء يستوعب في الحرف الذي يليه ، مثلا: تِدَ مّل تنطق دمّلَ (بإدغام التاء) بمعنى آخر يزول الحرف الصامت (ت)

ويبقى الهمس الخفي مثال آخر : ودٍّ ي بدلا من تِـوَدِي. تفاصيل أكثر عن هذا الترتيب توجد في القواعد. لقد ألزمت نفسي مجددًا بالنقاط الثلاثة (...) بحيث تفيد كعلامة للانقطاع لكل بيت شعر يحتوي على ٦ مقاطع لفظية و٤ مقاطع لفظية ، بينما كقانون تظهر في نهاية البيت باستثناء الحالات التي يكون فيها الحس الشعري يمتد إلى عدة أبيات النقاط الثلاثة استعملت أيضا في نهاية الجمل التي تنتهي بالسؤال.

إن استعمال الوصلات بين الكلمات والكلمات المزدوجة ، للأسف هو عمل غير منطقي ، ولكن عموماً لقد اتبعت المخطوطة التي وصلتني ، ولقد وجدت قياس النصوص التي لم تكتب بخط السيد ساندرستروم، وبناءاً على ذلك على سبيل المثال كلمات صغيرة مثل ، أيضاً ، هكذا ، الخ كتبت أكثر مما ينبغي في النهاية ، ودائماً النقاط الثلاث (...) كلها ارتبطت كتابياً بالكلمة التي قبلها بالمقابل لذلك (...،...) تقف منفصلتان ، ولو أن من وجهة نظر الفاعلية يجب أن تكون مثل العلامات الأخرى .أن أي لغة مكتوبة تحتاج إلى توحيد القياس ويجب أن يسبق ذلك بعض الحلول الوسطية والتسويات لقد نوهت بوضوح إن حرف (الواو) افتقر دائماً إلى (....) وبعد ذلك كتب مع الكلمة التي تليه ، لأنه ربما قد يخلق بعض التشويش مع العلامات (...) على حسب ظني ، لقد جمعت الآن في المجلد B١ بعض الأخطاء المطبعية التي وجدت في المجلد الثالث ، وفي نهاية المقدمة التي كتبها نافع ود عتمان بطلب مني ، وبناءاً على توجيهاتي وأيضاً في التوضيحات الرئيسية فيما يتعلق بالأصوات والأداء في الإخراج ، أتبع الطريق التي في المقدمة وهنا أيضاً يجب أن أشكر نافع ، مساعدي الأمين وشكري العميق للسيد ساندرستيوم ، والسيد كونتي روسيني والسيد فاريت.

اينو ليتمان

ستراسبورج

أكتوبر ١٩١٣م

بماذا توحي هذه الرسالة؟

تـوحي هـذه الرسـالة بـأن مشـروع توثيـق شـعر لهجـة التجـري تبنـاه مـؤتمر المستشـرقين الثالـث عشـر الـذي عقـد بهمبـرج "بألمانيـا" فـي بـدايات القـرن العشـرين. يـذكر ليتمـان بأنـه أطلـع المـؤتمرين علـى الدراسـات التـي أجراهـا علـى الأغـاني التـي أرسـلها لـه ساندرسـتيوم ، وربمـا تقـرر سـفره إلـى المنطقـة الواقعـة شـمال الحبشـة لاسـتكمال المشـروع بعـد مـا بـين للمـؤتمرين بـأن العمـل لا يمكـن إنجـازه دون العثـور علـى متـرجم محلـي وتحـدث ليتمـان كثيـراً عـن مسـاعده نـافع ود عتمـان والخـدمات الجليلـة التـي قـدمها فـي سـبيل ذلـك المشـروع – حيـث يصـفه بالمسـاعد الـوفي. تـوحي الرسـالة أيضـاً بـأن ليتمـان الـذي كـان محاضـراً فـي جامعـة برنسـتاون بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة قـام بدراسـة التجـري والأغـاني التـي وصـلته عنـدما كـان فـي الولايـات المتحـدة بتكليـف مـن جهـة مـا ولـيس مـن تلقـاء نفسـه ، ويسـتنتج مـن رسـالته بـان الدفعـة الأولـى مـن الأغـاني وصـلته مكتوبـة بـالأحرف اللاتينيـة وقـدم تقريـره عـن الأغـاني إلـى مـؤتمر المستشـرقين قبـل سـفره إلـى أفريقيـا حيـث أوكلـت إليـه مهـام اسـتكمال المشـروع بالتعـاون مـع مسـاعد محلـي (متـرجم) والمبشـرين الـذين كـانوا فـي المنطقـة والملاحـظ فـي الرسـالة إن شخصـيات تبشـيرية (روديـن ساندرسـتيوم وفاريـت) وشخصـية علميـة (كـونتي روسـيني) تعـاونوا مـع ليتمـان إلـى أبعـد الحـدود الأمـر الـذي يـدل بـأن عمـلا جماعيـاً منسـقاً قـد تـم بنجـاح.

والملاحـظ أيضـاً إن ليتمـان يشـير إلـى لقـاء فتـىً مـن المنسـع فـي القـاهرة بالصـدفة ودوّن منـه أغنيتـان، ولـم يـذكر مهـام ذلـك الفتـى ولا أعتقـد إن شـاباً مـن إرتريـا يمكـن أن يعـيش فـي القـاهرة فـي ذلـك العصـر إلا لغـرض التعلـيم الأمـر الـذي يـوحي بوصول طلاب إرتريا إلي مصر منذ ذلك الزمن.

نـوه ليتمـان كثيـراً بجهـود المـواطن الإرتـري نـافع ود عتمـان الـذي يـذكر بأنـه لعـب دورًا كبيـراً فـي نقـل ألفـاظ لهجـة التجـري إلـى نصـوص مكتوبـة بحـروف اللاتينـي ، والمـرجح أن نـافع هـذا كـان يجيـد اللغـة الألمانيـة بطلاقـة حسـب إشـارة ليتمـان ولـذلك عمـل مترجمـاً ومسـاعدًا ، وربمـا علـمَ المستشـرقين ، ساندرسـتيوم ، وفاريـت وروديـن وليتمـان لهجـة التجـري ولكـن لـم أجـد حتـى الآن مصـدراً يشـير عـن كيفيـة تعلـم نـافع ود عتمـان اللغـة الألمانيـة فـي ذلـك الـزمن وفـي تلـك المنطقـة النائيـة عـن مراكز العلم.

الطفرة التعليمية النسبية في إرتريا بعد الحرب العالمية الثانية

في فترة الإنتداب البريطاني ، دفعت الحاجة إلى الكتبة وصغار الموظفين الإداريين السلطات البريطانية للاهتمام بالتعليم في شكله المتواضع ، فشجع الكولونيل إستيل البريطاني ، وكان مديراً للمعارف ، تأسيس المدارس الإبتدائية والإعدادية. وأقامت إدارة المعارف معهدًا للمعلمين في أسمرا واستعانت بمدرسين من السودان ، وجعلت العربية والإنجليزية بالنسبة للمناطق الإسلامية ، والتجرينية والإنجليزية بالنسبة للمناطق المسيحية ، وأسستْ عددًا من المكتبات العامة والمعاهد الليلية لتعليم اللغات والضرب على الآلة الكاتبة والاختزال. حدث ذلك لأن الإحتلال البريطاني وجد الشعب في إرتريا شعبا عربياً يجنح نحو استخدام الأبجدية العربية ، ولذلك نهج سياسة مختلفة كليا عن سياسة إيطاليا في التعليم ، حيث أتيحَ للمسلمين الإرتريين العودة إلى التعليم بلغتهم العربية ، وأصبحت اللغة العربية لغة المنهج في المدارس الإبتدائية في المناطق ذات الأغلبية المسلمة ، وتحقق للمسلمين ما ناضل أجدادهم من أجله خلال ٥٠ عاما. وانتشرت اللغة العربية بين العامة من جديد خلال سنوات فقط ، انتشارًا مذهلاً الأمر الذي أكد الهوية الثقافية للمسلمين الإرتريين.

وفي نهاية الإنتداب البريطاني ارتفع عدد المدارس الإبتدائية إلى ١٠٠ ، والمدارس المتوسطة إلى ١٤ مدرسة (في عهد إيطاليا كان عدد المدارس الإبتدائية ٢٤ والمتوسطة ٣ فقط).

برزت في تلك الفترة كفاءات من المواطنين كانت مدفونة من قبل وظهرت إبداعات رائعة من شخصيات أسهمت بأقلامها في إثراء الساحة الثقافية الوليدة ، أذكر منهم الأساتذة ياسين محمود باطوق وحسب الله عبد الرحيم ، ومحمد أحمد سرور ، وأدم أقدوباي وآخرون. وممن يجب ذكر أسماءهم من الأخوة السودانيين بمناسبة ذكر الحركة الثقافية في إرتريا في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي ، الأستاذ جلال الدين حسين الذي عمل سكرتيرًا لمدير المديرية الغربية ثم محررًا في جريدة الإتحاد والتقدم والأستاذ محمود الربعة الذي عمل محررًا للجريدة العربية الأسبوعية وغيرهم.

ومن الذين أثروا الساحة الأدبية والإعلامية الإرترية في هذه الفترة الشيخ إبراهيم المختار أحمد عمر مفتي الديار الإرترية الأسبق ، والزعيم الوطني الشهيد عبد القادر كبيري ، وكل من الأساتذة محمد عثمان حيوتي، أحمد حسن

حيــوتي ، كــوليري عمــر نجــاش ، محمــود نــور حســين ، وعبــد الحميــد إدريــس طعدوي وآخرون (٢١) .

فــي تلــك الحقبــة مــن تــاريخ إرتريــا، كانــت الصــحف تصــدر باللغــات العربيــة ، التجرينيــة ، الإنجليزيــة والإيطاليــة. وفيمــايلى قائمــة بالصــحف التــى كانــت تصــدر في عهديْ الإنتداب البريطاني والفيدرالية في إرتريا:

الصحف الحكومية

١ ـ الجريدة الإرترية الأسبوعية : أصدرتها الإدارة البريطانية فى عام ١٩٤٣ م.

٢ ـ مجلة الشهر : أصدرتها الإدارة البريطانية فى عام ١٩٤٤م.

٣ ـ الجريدة العربية الأسبوعية أصدرتها الإدارة البريطانية فى عام ١٩٤٥م

٤ ـ الزمان أصدرتها الحكومة الإرترية الفيدرالية فى عام ١٩٥٣م باللغتين العربية والتجرينية.

٥ ـ الغازيتة الإرترية أصدرتها الحكومة الإرترية الفيدرالية فى عام ١٩٥٣م باللغات – العربية – التجرينية – الإنجليزية – الإيطالية.

٦ ـ صحيفة الأحد الأسبوعية : أصدرتها الحكومة الفيدرالية الإرترية فى عام ١٩٥٨م – باللغتين العربية والأمهرية.

٧ ـ أثيوبيا الأسبوعية : أصدرتها الحكومة الفيدرالية بتاريخ ١٩٦٣ م باللغتين العربية والأمهرية.

الصحف الحزبية

١ـ صــوت الرابطــة الإســلامية – لســان حــال حــزب الرابطــة الإســلامية صــدرت فــي عام١٩٤٧م باللغة العربية.

٢ ـ الجريدة الإثيوبية – لسان حال حزب الإنضمام مع إثيوبيا صدرت فى عام ١٩٤٧م باللغتين التجرينية والعربية.

٣ ـ نور إرتريا – أصدرها حزب الانضمام مع إثيوبيا فى عام ١٩٤٧م

٤ ـ وحدة إرتريا : لسان حال الكتلة الاستقلالية صدرت فى عام ١٩٤٧م باللغتين العربية والتجرينية .

٥ ـ الاتحاد والتقدم : أصدرها حزب الرابطة والتقدم فى عام ١٩٤٧م باللغة العربية.

٦ ـ إرتريا الحرة : لسان حال حزب إرتريا الجديدة ، صدرت فى عام ١٩٤٩م باللغتين العربية والتجرينية.

٧ - صوت إرتريا : أصدرها حزب الرابطة الإسلامية فى عام ١٩٥٢م باللغتين العربية والتجرينية
٨ - جريدة الاتحاد : أصدرها حزب الانضمام فى عام ١٩٥٤م باللغتين العربية والتجرينية.

الصحف التجارية والثقافية

١ - مجلة أسمرا الثقافية صدرت فى عام ١٩٤٧م باللغة العربية.
٢ - جريدة الغرفة التجارية : أصدرتها الغرفة التجارية الإرترية فى عام ١٩٥١م باللغات العربية – الإيطالية – الانجليزية.
٣ - المجلة الاقتصادية : صدرت فى عام ١٩٥١م باللغات – العربية – الايطالية – الإنجليزية.
٤ - "مجلة المنار: صدرت فى عام ١٩٥٤م باللغة العربية. ومجلة المنار بالذات كانت منبراً للأقلام الناشئة" (٢٢).

"كانت الصحف الإرترية في فترة تقرير المصير تتبارى لتأييد وجهة نظر معينة أو معارضتها بأسلوب ما ، كان لا يخلوا في بعض الأحيان من الشتائم الرخيصة مع ركاكة في التعبير" (٢٣). أقول إن الركاكة في تلك المرحلة تعتبر طبيعية ، المهم الرغبة في التوثيق والتعبير باللغة التي تختارها ، وكان ذلك نجاحاً كبيرًا بعد الكبت الإيطالي الطويل ، حيث انفجر الناس يعبرون عن مشاعرهم وآرائهم.

ذلك البصيص من حرية التعبير أبرز هؤلاء الكتاب والمحررين على وجه السرعة ليكتبوا باللغة العربية المعاصرة، وظهرت العديد من الجرائد والمجلات والأندية الثقافية وكلها اختفت تدريجيا بعد اتحاد إرتريا مع إثيوبيا فيدراليًا. وبعد ذلك لم تؤسّس مدارس جديدة تذكر خلال سنوات الاتحاد بالمستوى الذي كان مأمولا عليه ، بل ربما أغلقت مدارس لأسباب واهية منها عدم وجود معلمين ، وعدم استتباب الأمن ، والطبيعة الترحالية لبعض تجمعات المسلمين. كان النظام الأساسي للإتحاد (الدستور الإتحادي) قد أكد على وجوب اعتبار اللغة العربية لغة رسمية لإرتريا ولغة التعليم في مناطق المسلمين للمرحلة الإبتدائية ، إلا أن النية المبيتة لإثيوبيا حالت دون انتشار اللغة العربية حتى بعد ما طبع المنهج التعليمي بها ، حيث قامت بوضع المعوقات والعوائق المستمرة وتسّييس العملية التعليمية والتربوية ، وسحبت الكتب العربية من المكتبات العامة التي كانت قد أنشأتها الإدارة البريطانية من قبل وقلصت ميزانية التعليم بشكل متعمد للحيلولة دون

انشـــاء مـــدارس جديـــدة. وفـــي عـــام ١٩٦٢م نكصـــت إثيوبيـــا بالدســـتور الإتحـــادي برمتـــه والتفـــت عليـــه ، وابتلعـــت إرتريـــا كمـــا تبتلـــع الأفعـــى ضـــحيتها بعـــد مـــا تلتـــف عليهـــا ، وألغـــت الإتحـــاد الفيـــدرالي مـــن خـــلال إجـــراءات صـــورية تضـــليلية ، وكـــذلك ألغـــت اللغتـــين الرســـميتين ولغتـــيْ التعلـــيم الإبتـــدائي (العربيـــة والتجرينيـــة) واســـتبدلتهما باللغـــة الأمهريـــة. وانـــدلعت الثـــورة الإرتريـــة التـــي كانـــت فـــي طـــور التكـــوين منـــذ النصـــف الثـــاني مـــن خمســـينيات القـــرن العشـــرين ، ودخلـــت إرتريـــا مرحلـــة النضـــال المسلح.

التعليم والإعلام في عهد الثورة الإرترية

المعاهد الإسلامية الإسلامية حد أدنى من الفقه والثقافة الإسلاميتين خلال فترة حرب التحرير الإرترية ، حيث أعانت العديد من أبناء المسلمين داخل إرتريا وذلك بعد إلغاء اللغة العربية من المدارس النظامية وفرض اللغة الأمهرية ، فقد قام نفرٌ كريم من المسلمين الإرتريين بتأسيس معاهد لتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية بالتعاون مع الأهالي وبعض الخيرين من خارج إرتريا وكذا بمساعدة بعض الجهات الدعوية من الدول العربية الشقيقة.

" بعض أبرز المعاهد الدينية ومؤسسيها في كل من إرتريا ومناطق اللاجئين الإرتريين في شرق السودان هي:

١ ـ المعهد الدينى الإسلامى فى أسمرا: أسسه الأهالى فى عام ١٩٤٢م بجوار مسجد الخلفاء الراشدين.

٢ـ معهد مصوع الإسلامي : أسسه الشيخ أحمد عبد الرحمن هلال في عام ١٩٤٤م

٣ ـ معهد أغردات الإسلامي : أسسه الشيخ عبد الله عزوز في عام ١٩٦١م

٤ ـ المعهد الدينى الإسلامى فى كرن: أسسه القاضى موسى آدم عمران فى عام ١٩٦١م

٥ ـ معهد عنسبا (وازنتت الإسلامي) أسسه الشيخ محمد علي زرؤوم في عام ١٩٦١م

٦ ـ معاهد أصحاب اليمين (كرن وضواحيها) مجموعة معاهد للبنين وأخرى للبنات (والأمهات) أسسها الشيخ محمد صالح حاج حامد منذ عام ١٩٦٤م

٧ ـ المعهد العلمي الإسلامي بقندع أسسه الشيخ عمر إدريس أحمد في عام ١٩٦٩م

٨ ـ معهد المهاجرين والأنصار بالمنصورة أسسه الشيخ محمد إبراهيم عثمان شيدلي في عام ١٩٧٠م

٩ ـ المعهد الإسلامي بأفعبت أسسه الأهالي برئاسة لجنة أوقاف محلية عام ١٩٧٠م

وفي مناطق اللاجئين الإرتريين في السودان ، أسس الشيخان داؤود محمد ومحمد عمر حاج محمد معهدًا في "خشم القربة" في عام ١٩٧٦م ، كما أسس الشيخ حامد إبراهيم عبد الله المعهد الديني الإسلامي بـ "أم قرقور" بدعم من جماعة أنصار السنة المحمدية ، ومعظم هؤلاء الشيوخ كانوا من خريجي

الجامعات والمعاهد الإسلامية في السودان والمملكة العربية السعودية والأزهر الشريف. (٢٤)

ودعمت الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة التابعة لمنظمة الدعوة الإسلامية عدد ٣٠ خلوة لتحفيظ القرآن الكريم في مناطق اللاجئين بمساعدة من رابطة العالم الإسلامي – فرع السودان ودعمت مؤسسات إسلامية أخرى الخلاوي والمعاهد في مناطق اللاجئين الإرتريين بشرق السودان وكان التعليم في تلك المعاهد يتركز حول اللغة العربية والعلوم الإسلامية بجانب مواد تعليمية أخرى. ومن ناحية أخرى كان المغفور لهما الشيخان محمد صالح حاج حامد ومحمد علي زرؤوم وفي مدينة كرن وضواحيها على علاقة طيبة مع بعض الجهات الدعوية في المملكة العربية السعودية ، ولذلك تمكنا من إيصال تلك الجهات حاجة الطلاب الإرتريين للدعم التعليمي ، ومن يومها لم تتأخر الدولة السعودية في منح العديد من الطلاب الإرتريين فرصاً للتعليم الجامعي ودون الجامعي، ودعم التعليم الأهلي في إرتريا ، وبعد سنوات قليلة من إنشاء تلك المعاهد تابع عدداً من الطلبة الإرتريين دراساتهم الجامعية فمنهم من التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ومنهم من التحق بالجامعات السودانية أو بالأزهر الشريف ، و الأغلبية التحقوا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وبعض المعاهد العلمية بمكة المكرمة والقصيم بالمملكة العربية السعودية حتى تاريخ استقلال إرتريا ، وكان ذلك بسبب المساعدة والتسهيلات التي كانت تقدمها حكومة المملكة العربية السعودية. لقد أسهمت تلك المعاهد في إرتريا مساهمة فعالة في إبقاء الثقافة الإسلامية والتعليم الإسلامي في وجدان المسلمين الإرتريين ، كما أسهمت مساهمة فعالة في تصحيح بعض المسائل العقدية التي كانت سائدة في إرتريا منذ زمن طويل، ولقد كانت عقود السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين عقوداً نشطة بالنسبة لتلك المعاهد ، وإن كانت أيضاً عقود الإبادة الجماعية وشلالات الدم والحروب في إرتريا وبعد استقلال إرتريا فقدت هذه المعاهد أهميتها لأن الدولة الإرترية الوليدة أرادت بسط سيطرتها عليها والتحكم على مناهجها وحاولت ضم بعضها إلى وزارة التعليم الرسمية ، وأبدت عدم اعترافها بشهادات المعاهد التي لم تنضم إلى وزارة التعليم الإرترية ، دون أن تقدم بديلا مناسباً يفي باحتياجات الطلاب

الدينية والثقافية واللغوية في المناهج الرسمية، ولم تعد المنح الدراسية من جامعة المدينة المنورة ومن المعاهد الأخرى في المملكة السعودية متوفرة بما فيه الكفاية بعد استقلال إرتريا والحقيقة إن تلك المعاهد لم تأتِ من فراغ بل كانت رد فعل المسلمين الإرتريين للحفاظ على ما كانوا يرونه إنتهاك لحقوقهم الدينية والثقافية. ولم تكن تلك المعاهد المتخصصة ضرورية في الخمسينيات من القرن الماضي أي قبيل إلغاء الاتحاد الفيدرالي نهائياً إلا من باب التخصص في العلوم الإسلامية ويعتقد أنه لو وجد المسلمون في إرتريا ما يلبي احتياجاتهم الثقافية والدينية واللغوية في المناهج الوطنية ، ولبيتْ رغباتهم في لغة التعليم ومقررات الدين ، قد لا يوجد ما يدعوهم للاستمرار في تبني هذه المعاهد حتى اليوم إلا من باب التخصص في العلوم الإسلامية.

مدرسة الجالية العربية في أسمرا

هي مدرسة أسسها في الأصل بعض التجار اليمنيين (الحضارم) في الأربعينيات من القرن الماضي ، وكانت هذه المدرسة العريقة مدعومة من الأزهر الشريف بالمعلمين وتعتمد المنهج المصري ، ومن طلبتها عدد كبير من أبناء الجالية العربية اليمنية المقيمة في إرتريا ، وكانت تدرس من المرحلة الإبتدائية وحتى المرحلة الثانوية باللغة العربية ومن خلالها واصل عددٌ من أبناء المواطنين الإرتريين واليمنيين تعليمهم الجامعي في الجامعات المصرية. وبعد إستقلال ارتريا أُدرجت المدرسة تحت إدارة وزارة التعليم الإرترية وتم تغيير إسمها إلى "مدرسة الأمل النموذجية" وتُعَلم الآن المنهج الإرتري بإعتماد اللغة العربية لغة للتعليم وذلك حتى المرحلة الإبتدائية فقط.

الدعم التعليمي من الدول العربية الشقيقة

الأزهر الشريف

كان الطالب المسلم من إرتريا يؤم الأزهر الشريف لغرض العلم منذ زمن غير قصير، ربما ما قبل العهد التركي و كان ممن يقبل سنوياً للتعليم بمعاهد البعوث الأزهرية ، وممن يستفيد من المنح الدراسية والمساعدات المقررة من الحكومة المصرية للطلبة المسلمين الذين يفدون من العالم الإسلامي إلى مصر وقد نال عددٌ كبيرٌ من الطلاب الإرتريين إجازة الليسانس في العلوم الشرعية والعلوم الأخرى خلال العقود الماضية ، ويواصل الدراسة في جامعة الأزهر الشريف والجامعات المصرية الأخرى والمعاهد الفنية إلى الآن العشرات من الطلاب الإرتريين.

المنح التعليمية من الدول العربية

عندما عظم عود الثورة الإرترية قامت بترتيب دورات عسكرية متخصصة ثم منح دراسية أكاديمية للطلاب المهاجرين بمساعدة من بعض الدول العربية وخاصة سوريا والعراق، وإلتحق تباعاً المئات من الشباب الإرتري بالمدارس والجامعات العربية ولم تخلُ معظم الدول العربية من الطلاب الإرتريين خلال العقود الأربعة الأخيرة إلا ما ندر، إما بواسطة الثورة أو بجهد الطلاب وذويهم العاملين في الدول العربية .

التعليم في مناطق اللاجئين بشرق السودان

أنشأت التنظيمات الإرترية عددًا كبيرًا من المدارس الإبتدائية والمتوسطة والثانوية في معسكرات اللاجئين وفي مدن عديدة في شرق السودان لتعليم أبناء اللاجئين ، كانت كلها تعتمد اللغة العربية للتعليم الابتدائي ، منها ما هو موجود حتى الآن ومنها ما انتهى بانتهاء نشاط التنظيمات التي كانت تديرها، أما تكاليف تشغيل تلك المدارس والكتب الدراسية فكانت تأتي من الدول العربية وقد تحملت

المملكة العربية السعودية النسبة الأكبر من تلك الميزانية التعليمية. أوردت الكاتبة الإرترية نبيلة عمر الحاج إدريس الإحصاءات التالية:

"في عام ١٩٨٣م كان يخدم اللاجئين الإرتريين في مجال التعليم ، ٣٩ موظفاً إدارياً ، ٤١٧ معلماً ، ٧٢ شيخاً ، ٩٠ عاملاً ، ٧٢ معلماً للكبار ، يخدمون ١٣٠٩ طالباً في المدارس و٤،٤٧١ طالباً في والخلاوي القرآنية في مراكز وتجمعات اللاجئين الإرتريين في شرق السودان تحت إدارة جهاز التعليم التابع لجبهة تحرير إرتريا - قوات التحرير الشعبية ، وزاد العدد في عام ١٩٩٣م إلى ١٣،٠٩٨ طالباً وعدد المعلمين إلى ٤١٧ وعدد الصفوف إلى ٢١٤ صفاً" (٢٥)

الطلاب الإرتريين في الجامعات العربية

إلى الآن الآلاف من الطلاب الإرتريين يتابعون دراساتهم الجامعية والعليا في الجامعات العربية ، سوادهم الأعظم في السودان ، غالبا بجهود ذويهم، ونادراً بإعانة من بعض الجهات وبعض العلماء في المملكة العربية السعودية يدعمون المحتاجين من طلاب العلم الإرتريين المقيمين في البلاد وقد تخرج الآلاف من الطلاب الإرتريين المسلمين من الجامعات والمعاهد العربية الدينية منها والمدنية خلال الأربعة عقود الماضية ونال عدداً منهم درجات الدكتوراة في الطب والهندسة والصيدلة وعلوم الحاسوب واللغة العربية وأصول الدين ومنهم من يعملون أساتذة ومعيدين في الجامعات العربية والأوروبية والأسيوية. وبعد تحرير إرتريا – ومواصلة لجهودها السابقة - منحت الحكومة المصرية عدداً من المنح الدراسية السنوية مع شيء من الإعانة للطلاب الإرتريين ، بالإتفاق مع الحكومة الإرترية واستفاد من هذه المنح خريجي الثانوية العامة من الإرتريين المقيمين في الدول العربية وكان يمكن مضاعفة هذا الدعم بقليل من الجهد في هذا الاتجاه ، حيث يعتقد بأن الحكومات العربية تتفهم مدى حاجة الإرتريين للتعليم والتأهيل الأكاديمي والمهني بعد سنوات الحرب الطويلة.

جهود التنظيمات الإرترية فى نشر اللغة العربية

قامت بعض التنظيمات الثورية الإرترية بجهود مقدرة لنشر اللغة العربية والحفاظ عليها لغة رسمية ، وفيما يلى قائمة بالمطبوعات التى صدرت في عهد الثورة الإرترية:

جبهة التحرير الإرترية

١ - النضال الإرتري

٢ - الثورة الإرترية – مجلة

٣ - نشرة أخبار إرتريا

٤ - الثورة

٥ - السواعد - أصدرها الإتحاد العام لعمال إرتريا

٦ - سبتمبر (أيلول) أصدرها المكتب العسكري لجبهة تحرير إرتريا

٧ - "أدال" أصدرها الاتحاد العام لطلبة إرتريا

٨ - النشرات والكتب والوثائق الخاصة بالثورة الإرترية التي كان يصدرها مركز الإعلام الخارجي لجبهة التحرير الإرترية (٢٦)

وكانت الفصائل الإرترية الأخرى تصدر مطبوعات شهرية أو سنوية باللغة العربية دون إهمال اللغة التجرينية واهتم تنظيم جبهة التحرير الإرترية – قوات التحرير الشعبية بصفة خاصة بترجمة بعض الكتب المتعلقة بإرتريا من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، ومن هذه الكتب:

"النقوش الصخرية في جزر دهلك" للباحث الفرنسي رينيه بآسيه ، وكتاب "إرتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال" للسياسي البريطاني ج. ك. تريفاسكيس كما ألف الزعيم الإرتري الراحل عثمان صالح سبي عددًا من الكتب عن إرتريا منها كتابيه "تاريخ إرتريا" و "جغرافية إرتريا" وألف عدد من المناضلين القدماء كتبًا عن تجاربهم في الثورة الإرترية وعن تاريخ إرتريا منذ عام ١٩٦١م إلى عام ١٩٩١م و هو عهد الإستعمار الأثيوبي والثورة الإرترية ، أما في داخل إرتريا استمر الوضع التعليمي والأوضاع العامة من سيء إلى أسوأ إثر انقلاب الدرق في إثيوبيا ، وتدفق شباب الهضبة الإرترية المسيحيين إلى معاقل الثورة

في الساحل الشمالي الإرتري وغرب إرتريا بكثافة إثر اعتماد الدرق سياسة الإبادة الجماعية وخنق الشباب بالأسلاك الكهربائية وأطلق الدرق على تلك الحملات (الإرهاب الأحمر) ودخلت الثورة الإرترية عهدًا جديدًا من الصراع العسكري والمعارك المتمركزة بعد حرب العصابات والكر والفر التي استمرت منذ بداية الثورة في ١٩٦١م.

وحتى منتصف عقد السبعينيات كان من الطبيعي توعية وتدريب المستجدين بالحروف واللغة التي يفهمونها وأغلبهم كان لا يجيد إلا حروف الجئز واللغة التجرينية ولذلك اعتمدت اللغة والتجرينية للتوعية والتدريب حيث كان معترفٌ بها منذ اندلاع الثورة ، قبل أن ينضم متحدثوها إلى الثورة بكثافة. ولم يجبر هؤلاء المستجدين لتعلم اللغة العربية التي كانت سائدة في الميدان قبل وصولهم .

وبرز في أوساط تنظيم الجبهة الشعبية دون غيره مشروع "لغة الأم" وطبق في بعض المناطق المحررة ، وعندما حررَت إرتريا طفحتْ قضايا خلافية كثيرة إلى السطح ، منها تعدد لغات التعليم في المرحلة الإبتدائية، ومسألة اللغات الرسمية. ولم تتح الفرصة حتى الآن لمناقشة هذه القضايا الخلافية في إطار مشروع وحدة وطنية يبدأ بحوار وطني شامل ، لأن النظام في إرتريا لا يعترف حتى الآن بوجود قضايا خلافية ، ولم تركز المعارضة الضعيفة أصلا والمخترقة في إبراز هذه القضايا الخلافية في الثوابت الوطنية ولم تعبئ الرأي العام المحلي والعربي والدولي بخطورة هذه القضايا الجوهرية ، لأنها حتى الآن منشغلة بخلافاتها الداخلية.

قضية لغات التعليم بعد إستقلال إرتريا

إنتهت مرحلة الثورة المسلحة في إرتريا بكل ما حملته من دماء ودموع ، وظفر الشعب الإرتري بالإستقلال عن أثيوبيا ، ودخلت إرتريا مرحلة جديدة من النضال هي مرحلة البناء والوحدة الوطنية والديمقراطية ، وبرزت قضايا خلافية كثيرة منها قضية لغات التعليم المثيرة للجدل ، وإن لم يعترف النظام بها ، كما لم يعترف بوجود قضايا خلافية أصلا. وفي غياب الحوار الوطني وصعوبة معرفة الرأيْ العام بالطرق المتعارف عليها دولياً من الصعب الحديث عن رأي الأغلبية والأقلية في هذا المجال، إلا أن الملاحظ هو ان السواد الأعظم من المسلمين والمسيحيين الإرتريين ولاسيما المثقفين منهم يرى بأن لغة التعليم هي إحدى الثوابت الوطنية التي لا يمكن أن تبت فيها شرعية ثورية أو حكومة مؤقتة ، بينما يرَى التيار النافذ في حزب الجبهة الشعبية للديمقراطية والعدالة وهو الحزب الحاكم الوحيد في إرتريا بأنّ موضوع اللغات هو موضوع ثانوي وإن اللغة ما هي إلا وسيلة لتوصيل المعلومة وللتفاهم فقط ، ويحذر تحميلها أكثر مما تحتمل ، وهي نفس الرؤية التي كان يحملها هذا الحزب منذ تأسيسه كتنظيم ، لحاجة في نفس يعقوب.

بأي دافع كان ، فإن النظام التعليمي الابتدائي في إرتريا يعتمد الآن على "مشروع لغة الأم" وهو مشروع يلغي ثنائية لغة التعليم الابتدائي في إرتريا جملة وتفصيلا ، ويجعل لغات التعليم في المرحلة الإبتدائية متعددة ويترك اللغة العربية مادة اختيارية للذين لا يريدون استخدامها كلغة تعليم ، الأمر الذي أفقد القائمون على أمر التعليم سياسة تعليمية واضحة.

فالحديث عن ترك اختيار لغة التعليم على مسؤولية أولياء الأمور والعمل على ترجمة وطبع الكتب المدرسية "بلغات الأم" مسبقاً يكتنفه الكثير من الغموض والتناقض وربما الدهاء والتلاعب. ويقصد بـ "لغات الأم" ، اللغات أو اللهجات المحكية التي يتحدث بها المسلمون في إرتريا كل في بيئته المحلية ، وليس لها حروف هجائية.

والحقيقة إن السياسة التعليمية لكل الفصائل الإرترية منذ عهد الكفاح المسلح بما فيها السياسة التعليمية للجبهة الشعبية لتحرير إرتريا كانت معروفة للجميع . أما مالم يكن واضحاً للجميع هو عما إذا كان الفصيل المنتصر سوف يعرض سياسته التعليمية وسياساته الأخرى على الشعب الإرتري بالطرق المتعارف عليها دولياً أم سوف يفرضها بالقوة ، إلا أن التشبث بسياسة الأمر الواقع صدم العديد من الإرتريين الذين كانوا يعوّلون على رجاحة عقل وحنكة قيادة الجبهة الشعبية الإرترية دون غيرهم من قادة الفصائل . لم يتصوروا بأن سياسة الأمر الواقع سوف تطاردهم بعد كل تلك التضحيات الجسام والمعاناة والحروب التي خاضوها للتمتع بالحرية في ديارهم .

قال بعض من حاورتهم في هذا الأمر "في البداية لم يقتنع بعض المناضلين (مسلمين ومسيحيين) في الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا بمشروع لغة الأم ، إلا أن الهدف الأكبر كان تحرير إرتريا ولذلك لم يأبه أحدًا من المعتدلين بضرورة حسم هذه المسالة بل أجلت تلقائياً دون مبالاة وخاصة من قبل المسلمين تحديدًا ، ربما إفراطاً في التسامح ، أو ربما على أمل أن يقتنع التيار المتشدد بعدم جدوى المشروع المتشدد بعد العمل مع أبناء المجموعات العرقية الأخرى عن قرب. وأضاف محاوري قائلا، ربما رأى بعض القادة المسلمين حاجة مواطنيهم المتحسسين لبعض الوقت للتعرف عن قرب على هوية مواطنيهم المسلمين وثقافتهم ، تقديراً للبعد الجغرافي والثقافي والنفسي والديني لأبناء المرتفعات الإرترية المسيحيين الذين تدفقوا على الثورة في وقت واحد وبكثافة بعد انقلاب الدرقْ الإثيوبي (وكانوا أفراداً قلائل في الثورة قبل ذلك ومنذ قيامها). وختم محدثي حديثه قائلاً "إلى الآن السبب الحقيقي للتمسك بمشروع لغة الأم بعد ما رفضه الشعب غير واضح ولم تنتهِ الأمور كما تمناها المعتدلون من المسلمين والمسيحيين ، أو ربما كان المخطط أعمق من تصوراتهم وقدراتهم الفكرية. وفي النهاية لم يستطع أحد أن يفعل شيئاً حيال ذلك المشروع ، وفي نفس الوقت آثر الجميع أن يحافظ على تماسك التنظيم بعد انفراط عقد الوفاق بينهم وبين إخوانهم في الفصائل الأخرى ، وخصوصاً بعد انتفاء عامل الثقة كلياً منذ الاقتتال الدموي وفشل كل محاولات الوحدة سابقا.

وهناك من يرى بأن المقاتلين الوطنيين لم يدركوا في الوقت المناسب المخاطر المترتبة على مستقبل البلاد عامة وعلى ثقافة المسلمين خاصة جراء تطبيق "مشروع لغة الأم " على أرض الواقع ، وهو رأي غير بعيد عن الصواب لأن الكوادر الميدانية من أبناء المسلمين (أو جلهم) كان ينقصهم التأهيل الأكاديمي الذي ربما كان سيساعدهم على تكوين رؤية إستراتيجية سليمة لمستقبل بلادهم.

والجدير بالذكر إن حزب العمل الإرتري الذي كان يقود جبهة التحرير الإرترية في النصف الأول من سبعينيات القرن الماضي تبنى مشروع اعتماد اللهجات الإرترية في وقت مبكر وتمكن من تمرير الفكرة كقرار في المؤتمر التنظيمي الأول لجبهة التحرير الإرترية والذي عقد في العام ١٩٧١م ، ثم حاول تنفيذها ، إلا إنها فشلت منذ بدايتها ، وربما كانت واحدة من الأفكار التي عصفت بحزب العمل الإرتري فيما بعد لأن القاعدة الشعبية لجبهة تحرير إرتريا كانت من المسلمين الإرتريين . والأرجح إن الفكرة انتقلت من حزب العمل إلى كوادر قوات التحرير الشعبية الإرترية الذين تخيلوا في كبرهم بأنهم اشتراكيين دون أن يطلعوا على ثقافة شعبهم الحقيقية وتراثه اللغوي الفريد في صغرهم ، ووافقت فكرتهم تلك تحوط القوميين المتشددين في إرتريا وربما تطابقت مع الأجندات القديمة لبعض الدوائر الخارجية.

بعد الاستقلال أخذت كل الأمور بعدا آخرًا ، وقال القائمون على النظام التعليمي الإرتري إن المشروع خضع للاختيار الشعبي بالطريقة التي رآها المختصون في الوزارة مناسبة ، كما قيل إن المشروع وجد تأييدا من خبراء اللغات الإرتريين ومن أولياء أمور الطلاب ، ولم تصادق على تلك الدعاوي جهة محايدة حتى الآن.

نتائج مشروع لغة الأم

صرح مسئول في قسم شئون التعليم يدعى كبدي قبري زكهير لوسائل الإعلام الإرترية بتاريخ ١٩٩٦/٤/١٢م بما يلي:

مجموع عدد المدارس الإبتدائية في إرتريا : ٥١٠ مدرسة (إحصاء عام ١٩٩٦م) .

ووزعت لغات التعليم كالآتي :

(١) ٣٥٤ مدرسة باللغة التجرينية

(٢) ٩٦ مدرسة باللغة العربية

(٣) ٢٥ مدرسة بلهجة التجري

(٤) ١٣ مدرسة بلهجة الكوناما

(٥) ١٤ مدرسة بلهجة الساهو

وأردف المسئول قائلا "أما بقية المجموعات اللغوية مثل البلين – العفر – النارا – الحدارب – والإيليت ما زال العمل جارياً في ورش الجبهة الشعبية عن كيفية الاستفادة من الحروف اللاتينية" (٢٧).

إذا أخذنا بالتصريح أعلاه هناك فرق ظاهر في نسب المدارس لأن الإحصاء المعترف به رسمياً هو أن المسلمين يشكلون ٥٠% من عدد سكان البلاد ولكن نصيبهم من المدارس الإبتدائية هو أقل من ٥٠% من نصيب مدارس التجرينية أي ٣٥٤ مدرسة مقابل ١٤٨ مدرسة ، ثم إن عدد ٩٦ مدرسة تعلّم المواد الدراسية باللغة العربية، هذا عدد كبير أتمنى أن يكون صحيحاً. والمفارقة هي إن الجيل الذي كان يتعلم في ١٤٨ مدرسة في عام ١٩٩٦م وبعدد ٤ لهجات ولغات مختلفة كلغات تعليم هو نفس الجيل الذي كان يتعلم آباءه بلغة واحدة هي اللغة العربية قبل ٢٥ عاماً من التاريخ أعلاه. تُرى أيّ الفريقين هو الذي أجبَر للتعليم باللغة والحرف الذين لا يناسبانه (فريق الآباء أم فريق الأبناء)؟

بعد أكثر من عقد من تنفيذ مشروع "لغة الأم" ، نُشرتْ هذه الملاحظة في مجلة الأمانة الإرترية:

"وعلى هذا الأساس لم يكن في إستطاعة الطلاب الذين يجلسون لامتحانات الشهادة الثانوية مواصلة الدراسات العليا ما عدا ١٠ إلى ١٥% منهم ، مما جعل عدد الطلاب الذين أكملوا الفصل الثاني عشر يتصاعد عاما بعد عام بشكل تراكمي وحوّلهم هذا إلى عالة على المجتمع بدلا من أن يخففوا عنه العبء الذي يثقل كاهله ، ومن هنا جاءت أهمية التغيير" (٢٨) لم يوضح كاتب التقرير عن

تفاصيل التغيير المرتقب ، ولكن لا يعتقد العودة إلى (ترتيبات عهد الفيدرالية) كنقطة انطلاق حديثة ، وهو الأمر الذي كان مأمولا منذ اليوم الأول للإستقلال.

هناك بعض المدارس الإبتدائية التي تعتمد اللغة العربية لغة للتعليم لكن عددها قليل جدًا بالنسبة لمجموع المدارس الإبتدائية ومستواها متدهور للغاية ، ومدارس مشروع لغة الأم هي الأكثر رواجاً بحكم التوجه والدعم الرسمي الأمر الذي يرشحها لكسب المزيد من الدعم في المستقبل المنظور. تقول الحكومة الإرترية إن سياستها التعليمية التي تقضي بأن يختار المواطنون اللغة التي يتعلم بها أطفالهم في المرحلة الإبتدائية هي طريقة متبعة في كثير من البلدان ، وإذا افترضنا صحة هذه المقولة ، فإن الاختيار بأثر رجعي في مثل هذه الأمور الثابتة المتوارثة لا بد أن يكون بإجماع وطني أو باستفتاء أصحاب الشأن. ولذلك، أضحت هذه السياسة التعليمية من المحاور الرئيسية المشهورة لمعارضي الحكومة الإرترية. إن الإدعاء بإشراك المواطنين في اختيار لغة التعليم فيه الكثير من الغموض وعدم الجدية ، وفيه الكثير من التنازل المريب ، زمن البديهى أن كل السياسات قد تتحمل الغموض إلاّ السياسة التعليمية التي يتوقع منها الجميع أن تكون واضحة ومحكمة لا لبس فيها ، إذا أريد لها أن تخرِّج أجيالا سليمة ومنضبطة ومتشبعة بحب الوطن. ثم إن لغة التعليم في أي مجتمع لابد أن يكون من المسلمات ولا يحتمل أي جدل ، لأن الشاهد هو التاريخ والواقع المعاش والمتواتر ، والمزايدة فيها مزايدة في الجدل فقط ليس إلا.

"ذكرت صحيفة "الصحافي الدولي" السودانية الصادرة في ٢٠٠١/١٠/٣م إن السلطات الإرترية أعادت خمسون معلماً سودانياً يمثلون الدفعة الأولى من (١٥٠) معلم سوداني كان وفد ارتري زار السودان الشهر الماضي قد تعاقد معهم للتدريس فيّ إرتريا ، دون إبداء أية أسباب لذلك. والجدير بالذكر إن النظام الإرتري قد أعطى الضوء الأخضر لإدارة التعليم في إقليم القاش بركة للتعاقد مع معلمين سودانيين لتدريس جميع المواد باللغة العربية في المدارس الإبتدائية ، وذلك في إطار التنافس بين الجناحين المتصارعين في النظام لكسب تأييد الشعب الإرتري عامة والمسلمين خاصة ولكن يبدو أن هناك تطورات ومستجدات جعلت النظام يغير رأيه في الأمر"(٢٩).

يخشى بعض المراقبين من ضغوط تمارسها دوائر خارجية على إرتريا في هذا الجانب . فإذا كان ذلك صحيحا فهذا يعني إن إرتريا لا تزال تعاني من شرور الإستعمار حتى بعد استقلالها سياسياً ولاسيما في شؤونها الثقافية والتعليمية. ومنذ متى كان الإستعمار يتدخل لمصلحة الوطن والمواطن؟ وما الويلات التي عاشها شعب إرتريا خلال القرن العشرين من أوله إلى آخره إلا بسبب تدخل الإستعمار المباشر وغير المباشر في شؤون بلاده. والمتابع لأداء قيادة الحكومة الإرترية منذ الاستقلال يميل إلى استبعاد مثل هذه الضغوط. وقد يكون للدهاء السياسي ولبساطة المستهدَفين وخلفيتهم السياسية والثقافية المبعثرة دور في ضياع الحقيقة.

"لقد كشف المنصر العالمي السابق أشوك كولن يانق المخطط الكنسي لتنصير المسلمين ، وهو مخطط مدعوم من قبل الحكومات الغربية وقال هذا المنصر الذي أسلم ، إنّ من أساليب عمل المخططين الضغط على الحكومات في العالم الثالث لإتباع سياسات معينة في مجالات عدة تهدف في النهاية إلى خدمة المخطط الكنسي، حتى لو كانت تلك السياسة مرفوضة من قبل المعنيين ، وحتى إذا أدت إلى تمزيق الأوطان المستهدفة (٣٠).

ونعود إلى الغموض ، فمن يراجع أدبيات الجبهة الشعبية ما قبل الاستقلال، يجد شيئا من ذلك الغموض في السياسة التعليمية ، ولا يجد أثرًا لهذه الضغوط المفترضة. هذا يعني إن الغموض ربما كان مقصودًا بذاته ، منذ أمد بعيد لتلطيف آثار المشروع على الناس حتى يتحقق تنفيذه ، وهذا قد يقودنا بالضرورة الى القول بأن "مشروع لغة الأم هو توجه داخلي غير مرفوض خارجياً. جاء في مجلة ساقم عام ١٩٨٩م ما يلي : "إن الجبهة الشعبية لم تلزم أية قومية للتعليم بلغة الأم مثلا حيث كفلت حق التعلم بأي لغة تختارها. واختيار اللغة العربية في هذه الحالة لا يعني القضاء على اللغات الأخرى"(٣١) ولكن العكس هو الذي حدث ، وهو القضاء على اللغة العربية من خلال تهيئة المجال للهجات منطوقة وكتابتها وطبع الكتب بحروف غير عربية مسبقا دون اخذ رأي المعنيين. ولذلك أتسمت السياسة التعليمية في إرتريا حتى الآن بالخطورة على

مستقبل أبناء المسلمين الإرتريين ويخشى العديد من المثقفين الإرتريين من أن يساعد هذا الغموض وهذه الخطورة في تطوير انقسام عميق لدى مشاعر الإرتريين وتوجهاتهم الوطنية بعد كل تلك التضحيات للحصول على وطن مستقل يأوي أجيالهم ، ويُخشى أيضاً من أن يأتي مشروع لغة الأم بنتيجة عكسية ويكرس الطمس وليس الانصهار في بوتقة واحدة كما يدّعَى ، لأن اللغة والموروث الثقافي ليسا من المتغيرات بل من الثوابت التي لا يمكن أن يتنازل عنها طرفٌ من أجل طرف آخر بالتراضي.

البعد التاريخي لمشروع "لغة الأم"

منـــع الإســـتعمار الإيطـــالي ســـكان الهضـــبة عـــن التواصـــل مـــع ســـكان المنخفضـــات الإرتريـــة ، وراهـــن علـــى التفرقـــة والإنغـــلاق مـــع إطفـــاء جـــذوة العلـــم للأغلبيـــة ، وهـــذا ســـاعد علـــى إعاقـــة تطـــور ثقافـــة التعـــايش الســـلمي والفهـــم المتبـــادل فيمـــا بعـــد ، وفـــي الخمســـينيات مـــن القـــرن الماضـــي رفـــض بعـــض أعضـــاء البرلمـــان الإرتـــري مـــن ســـكان الهضـــبة اعتمـــاد اللغـــة العربيـــة فـــي الدســـتور الإرتـــري تمهيـــدًا لإلغائهـــا مـــن الحيـــاة السياســـية والثقافيـــة والاجتماعيـــة فـــي إرتريـــا، ولكـــن بعـــد إصـــرار أعضـــاء البرلمـــان المســـلمين وتعطُيـــل الجلســـات البرلمانيـــة لفتـــرة طويلـــة ، وتـــذمر المبعـــوث الـــدولي أنـــزو مـــاتينزي ، تـــدخل الإمبراطـــور هيلـــي سلاســـي بـــصفته راعيـــاً للإتحـــاد ، ومنـــع تعـــديل الدســـتور وقـــد تبـــيّن لاحقـــا إن تلـــك الخطـــوة التـــي أتخـــذها هيلـــي سلاســـي كانـــت مـــن قبيـــل الـــدهاء السياســـي ، للحيلولـــة دون تصـــدع الاتحـــاد فـــي وقـــت مبكـــر قبـــل اكتمـــال ترتيبـــات الابـــتلاع النهـــائي لإرتريـــا. بعـــد ســـنوات قليلـــة مـــن تلـــك الأزمـــة اُبتُـــلعت إرتريـــا نهائيـــاً واُ لغـــيَ الدســـتور الاتحـــادي مـــن قِبـــل أثيوبيـــا مـــن جانـــب واحـــد ، باســـتعمال سياســـة العصـــا والجـــزرة علـــى أعضـــاء البرلمـــان الارتـــري الـــذين كـــانوا مختلفـــين أصـــلا علـــى الثوابـــت والمتغيـــرات الوطنيـــة معـــاً. وفـــي النصـــف الأول مـــن عقـــد الســـبعينيات مـــن القـــرن العشـــرين انضـــم عـــدد كبيـــر مـــن شـــباب المرتفعـــات الإرتـــريين (المســـيحيين) إلـــى الثـــورة الإرتريـــة وقـــد ســـبقهم فـــي الميـــدان تيـــارًا منظمـــاً مـــن المثقفـــين المســـيحيين، كـــان يطلـــق علـــى نفســـه "ســـلفي ناظنـــت" – وهـــي عبـــارة باللغـــة التجرينيـــة معناهـــا الحرفـــي باللغـــة العربيـــة هـــو "حـــزب الاســـتقلال" وقـــد تمكـــن ذلـــك التيـــار المتـــوجس مـــن هيمنـــة الثقافـــة العربيـــة علـــى شـــعب إرتريـــا مـــن إرســـاء برنـــامج ســـرى يفضـــي إلـــى تـــأطير أبنـــاء المرتفعـــات ســـرًا للعمـــل علـــى تمكـــين برنـــامج رأوا فيـــه مصـــالحهم الثقافيـــة واللغويـــة المســـتقبلية فـــي إرتريـــا فـــي إطـــار أهـــدافهم الوطنيـــة الجديـــدة ، وأطلـــق علـــى ذلـــك البرنـــامج اســـم "نحنـــان علامانـــان" وتعنـــي بالعربيـــة "نحـــن وأهـــدافنا" وهـــي دراســـة تضـــم فـــي طياتهـــا برنـــامج عمـــل. لقـــد ذكـــر لـــي بعـــض المناضـــلين القـــدامى بـــأن القـــادمين الجـــدد مـــن المناضـــلين المســـيحيين كـــانوا يقـــرءون المنشـــورات التثقيفيـــة بلغـــتهم التجرينيـــة وكـــانوا يمـــررون تلـــك المنشـــورات علـــى بعضـــهم ســـرًا وأحيانـــا علنـــاً.

وأطلقوا على تلك العملية اسم حركي "أنبيبكا أحلـيف" وتعني بالعربية "إقراء ومررْ" - وقد ساعدت تلك العملية في شحذ همم الأعضاء وقراءة ما يصلهم بتمعن واهتمام. ولأن الأغلبية من المسلمين الذين سبقوهم في الميدان كانوا لا يجيدون قراءة اللغة التجرينية ، وبعضهم قد سمع عنها لأول مرة في حياته ، كانوا يظنون أن هؤلاء المستجدين يجتهدون لتثقيف أنفسهم للتعرف على قضايا ثورتهم وبرنامجهم التنظيمي والوطني ، ويبدو إن تلك الميزة اللغوية ساعدت المستجدين على تكوين رؤية خاصة محكمة عن مشروعهم الداخلي في إطار برنامجهم التنظيمي والوطني، ظهر مشروع "لغة الأم" كواحدٌ من تلك الأهداف الواجب تنفيذها في وقت مبكر ، كوسيلة فعالة لهيمنة اللغة التجرينية في التنظيم أولاً ثم في الساحة الإرترية لاحقاً لتكون اللغة الوطنية الوحيدة في إرتريا المستقلة دون الإعلان عن ذلك وظهرت فكرة تطوير لغة الأم علناً للمرة الأولى في ١٩٧٦م ، واعتمدت في المؤتمر التنظيمي الأول للجبهة الشعبية لتحرير إرتريا (وهو المؤتمر الذي انبثق منه الفصيل بالاسم الجديد "الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا " عوضاً عن الاسم القديم "جبهة تحرير إرتريا - قوات التحرير الشعبية".

بدت فكرة لغة الأم للوهلة الأولى فكرة متقدمة ومن إحدى (الهامات) الاشتراكية ، ونالتْ تدريجياً حماس متزايد من تيار متشدد في التنظيم ، واعتمد توسيع نطاق الفكرة لتعم كل المناطق المحررة تحت إدارة الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا في النصف الثاني مـ ن سبعينيات القرن الماضي ، حيث تحولت الفكرة إلى مشروع ولم يعارض ذلك أحداً من قيادات الفصيل المسلمين منهم والمسيحيين وربما لم تناقش الآثار المترتبة على تطبيق الفكرة واستمرّ تنفيذ المشروع بعد تحرير البلاد ولا يزال يُعمل به بغض النظر عن مدى جدواه أوعن مطالب أولياء أمور الطلاب المسلمين في معظم المناطق لإعادة النظر فيه والعمل باللغة العربية كما كان المنهج قبل الانضمام ألقسري إلى إثيوبيا.

إن الخوف من انتشار اللغة العربية على حساب اللغات المحلية هو خوف في غير محله ، وقد رسخه الإستعمار المتعاقب على إرتريا في إطار سياسته المعروفة "فرقْ تسدْ" ولكن رغم كل اختلافاتهم غير المبررة ، لا يُعتقد

بـــان التســـامح المفــرط الـــذي أصـــاب بعــض المســلمين علـــى حــين غــرة وأســتغل فـــي غيـــر محلـــه ، أو الجهـــل الـــذي خلفـــه الإســـتعمار ســـوف يحمِـــل المســـلمين كافـــة علـــى التنـــازل عـــن لغـــة ثقـــافتهم وعـــن إرثهـــم الممتـــد لأكثـــر مـــن ١،٠٠٠ عـــام ، وإن بـــدا ذلـــك ممكنا في الوقت الحاضر.

إن التعلـيم باللغـــة العربيـــة كلغـــة تعلـيم لكافـــة المســلمين الإرتـــريين هـــو حـــق مـــوروث منـــذ ١،٠٠٠ ســـنة وحـــق مكتســـب بترتيبـــات دوليـــة فـــي الخمســـينيات مـــن القـــرن الماضـــي ، ومطلـــب ملـــح لأصـــحاب الشـــأن منـــذ ذلـــك الوقـــت، ويبـــدو مـــن الصـــعب علـــيهم فهـــم إنـــزال لغـــة تعلـــيمهم التاريخيـــة إلـــى مرتبـــة الاختياريـــة بـــأي حـــال مـــن الأحـــوال ، ومـــن الصـــعب فهـــم سياســـة عـــدم الـــلا مبـــالاة المتبعـــة فـــي هـــذا الجانـــب الحيـــوي مـــن حيـــاة المـــواطنين. إن الدعايـــة الإثيوبيـــة الشرســـة لثلاثـــين عامـــا متتاليـــة أيـــام احتلالهـــا لإرتريـــا ، وعـــدم انفتـــاح الاثنيـــات الإرتريـــة علـــى بعضـــها فـــي تلـــك الفتـــرة مـــن عهـــد إثيوبيـــا أثمـــر وآتـــى أكلـــه فـــي الميـــدان الإرتـــري ثـــم فـــي الدولـــة الإرتريـــة الآن ، ولـــذلك الحـــوار الـــوطني الشـــامل هـــو الحل لهذه المعضلة.

أهداف مشروع "لغة الأم"

بجانـــب اللغتـــين العربيـــة والتجرينيـــة توجـــد فـــي إرتريـــا ٧ لهجـــات منطوقـــة لـــيس لهـــا حـــروف أو قواعـــد والدولـــة الإرتريـــة الوليـــدة اعترفـــت بكـــل تلـــك اللهجـــات كلغـــات وطنيـــة وتتعامـــل معهـــا كلغـــات مكتوبـــة ولقـــد طبعـــت المنـــاهج الدراســـية بمفـــردات بعـــض هـــذه اللهجـــات باســـتخدام حـــروف الجئـــز. ويجـــري تطـــوير بعضـــها الآخـــر فـــي هـــذا الاتجـــاه لكتابتهـــا بالألفبائيـــة اللاتينيـــة أو بـــالخطوط الجئزيـــة. إن مفـــردات لهجـــة التجـــري يمكـــن كتابتهـــا بالأبجديـــة العربيـــة بكـــل ســـهولة ، وهـــي أقـــرب إلـــى اللغـــة العربيـــة منهـــا إلـــى أيّ لغـــة أخـــرى ، كمـــا أنهـــا غنيـــة بالمترادفـــات العربيـــة المعاصـــرة وبناؤهـــا عربـــيٌّ أصـــيل إلا أن أحـــدَ مـــن ناطقيهـــا المســـلمين لـــم يطالـــب بكتابتهـــا بـــأي حـــرف كـــان غيـــر الحـــرف العربـــي فـــي أي عهـــد مـــن العهـــود الماضـــية وســـواء كانـــت دوافـــع مشـــروع لغـــة الأم أهـــدافا داخليـــة يـــرى القـــائمون بـــالأمر ضـــرورتها لتوطيـــد أركـــان الحكـــم ، أو لـــدعم وتمتـــين الوحـــدة الوطنيـــة ، أو بـــدوافع مـــا يســـمى بصـــراع الحضارات ، فإنه قد أفضى إلى بُعد جديد من الاضطهاد والإحساس بالظلم.

كتب باحث وسياسي إرتري قائلاً ، "إن تصرفات فئة من الإرتريين منذ الأربعينيات من القرن الماضي حتى يومنا هذا وتدخلهم في الشأن الثقافي واللغوي لمجموعات إرترية أخرى ورفض اللغة العربية سببه هو الشك وعدم الثقة بالآخرين وإحتقار الآخرين ، وعدم إستشعار المخاطر التي يفضي إليها عدم إحترام حقوق الآخرين" (٣٢) ولكن هناك من أبناء قومية التجرينية المعتدلون من يتحدثون ضد هذا المشروع وضد غيره من الممارسات التي يرونها مضرة بالتعايش السلمي ، وكذلك نقرأ في الإنترنت بإستمرار أسماء من أبناء التجرينية يكتبون عن وطنهم بشيء من القلق الواضح ، وكان بينهم من ينادي منذ الأربعينات بضرورة الإحترام المتبادل ويطالب بضرورة إعتماد الحوار الوطني للوصول إلى توافق في كل القضايا العالقة وإن كان صوتهم دائماً خافتاً. في الوضع الراهن قد توجد فقط فئتان قد تقبلان بمشروع "لغة الأم". الأولى لأسباب دينية والثانية لأسباب سياسية. فأما الجهة التي قبلت ولا نقول دعمتْ هذا المشروع لأسباب دينية، هم الناطقون بلهجة التجري الذين اعتنقوا الدين المسيحي "البروتستانت" منذ القرن التاسع عشر بجهد من البعثة التنصيرية السويدية وهم جزء أصيل من الناطقين بلهجة التجري ، ومنذ أن إعتنقوا المذهب البروتستانتي يستعملون حروف الجنز في قراءة الإنجيل والكتب الدينية الأخرى وفي المدرسة الإبتدائية في منطقتهم وتاريخياً هم أناس معروفون بأخلاقهم الطيبة وتسامحهم مع مواطنيهم وذويهم المسلمين ، وتربطهم صلات نسب ومصاهرات مع المسلمين من قبيلتهم ويتفهم المسلمون الإرتريون الاحتياجات الروحية لمواطنيهم الذين تنصروا ، فقد أخذ هؤلاء الإنجيل (العهد الجديد) بلهجة التجري المطبوع بأحرف الجنز ، ومن العدل احترام اختيارهم ومهما كان عددهم سوف يظلون أحرار في اعتناق ما يشاءون وفي الكتابة بالحرف الذي يختارون ولا يعتقد بأنهم يرفضون الخيار الثقافي لمواطنيهم وذويهمْ المسلمين ، بل يتفهمون ذلك جيدًا أكثر من غيرهم فقد برز هذا الموقف وإن لم يبرز بما فيه الكفاية ، عندما صرح الأستاذ الكبير موسى أرون (وهو من المسيحيين البروتستانت الناطقين بالتجري) أثناء تدشين قاموس لهجة التجري

المسمى (كبت قالات) المطبوع بحروف الجئز في نهاية عام ٢٠٠٥م حيث قال "تم هذا العمل بدعم كامل من الحكومة الإرترية في إطار السياسة التي تنفذها لتطوير اللهجات واللغات المحلية" (٣٣) ولم يبدى حماساً في نبرته التي ظهر بها في الفضائية الإرترية ، ولم يدعوا جميع ناطقي التجري لاعتماد حروف الجئز وكتابة لهجتهم به ، الأمر الذي أظهر بعد نظر هذا المعلم الكبير وأما الجهة التي دعمت المشروع لأسباب تتعلق بالالتزام السياسي ومن منطلق أنصر رفيقك ظالماً أو مظلوماً فهم قسمان القسم الأول هم الذين كانوا منضوين تحت لواء الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا منذ نشأتها ، وظنوا أن بإمكانهم رفع راية الاشتراكية في ربوع أفريقيا ، وتوحيد اللغات والأعراق خلال فترة حياتهم، كما كانوا يظنون أنهم أباطرة الماركسية البائدة وإذا بهم يرون أحلامهم تحترق في نهاية الحرب الباردة ، ولم يتوقعوا تلك النهاية السريعة والمروعة لما تخيلوا أنه مذهب أزلي ،وخسروا الرهان ولكن بعد أن أسهموا مساهمة فعالة في بناء قواعد "مشروع لغة الأم" في إرتريا وأما القسم الثاني فهم الذين التحقوا بالجبهة الشعبية خلال مسيرة التحرير الطويلة وهم ناعمو الأظافر، ولم يستطيعوا رد الغسيل المستمر عن أدمغتهم الصغيرة ، لخواء عقولهم من ثقافة أجدادهم وتراثهم اللغوي الفريد بسبب الحروب المستمرة. وعلى وجه الخصوص الحرب الأثيوبية التوسعية التي ولدوا خلالها، فتلقفوا مشروع لغة الأم ولا يزالون حيث لا يعلمون في حياتهم غيره وبالطبع لم تسعفهم تجربتهم من استشعار أبعاد هذا المشروع على تاريخ وتضحيات أجدادهم وعلى أجيالهم القادمة لأنهم نشأوا على غير ما نشأ عليه آباؤهم ولكن إن قبول هذه الفئات لمشروع لغة الأم وكل المشاريع الأخرى بكل سهولة ، قد ساعد أصحاب المشروع الحقيقيين وشجعهم ليس للمضي قدماً بثبات وحسب ، بل أيضاً لعزل وتجاهل الذين لا يوافقون على التنازل ، والذين يطالبون بالتفاهم وبالحوار الوطني في كافة قضايا بلادهم بالطرق السلمية.

رأي أغلبية المسلمين الإرتريين في مشروع "اللغة الأم"

يعتقد المعارضون لمشروع "اللغة الأم" إن ما فعله هذا المشروع من دمار بالنسبة لمستقبل أبناء المسلمين وعلاقتهم باللغة العربية لا يمكن أن يعوض بسهولة ، وقد فاق كل الأضرار السابقة وترك المسلمون الإرتريون معرضون للتقهقر الثقافي والانعزال عن محيطهم الطبيعي ، وإذا لم يستدرك الأمر بسرعة سوف يستمر الضرر لعشرات السنين ، بينما يقول القائمون على أمر التعليم في الحكومة الإرترية ، إنهم توصلوا إلى هذا الترتيب ليس جزافاً ولكن من خلال دراسات موثقة وإنّ ما توصلوا إليه هو الأنسب لمستقبل الطلاب وإن اختلف عن الثوابت الماضية، ولكن أي الفريقين على صواب ؟ وأيهم على خطأ ؟ هذا ما كان سيحدده الحوار الوطني المفقود (بل المرفوض أصلاً).

قال مسئول مسلم في وزارة التعليم الإرترية لمراسل فضائية عربية إن المنظمات المعنية بالتعليم في هيئة الأمم المتحدة تحث على تعليم الطفل باللهجة التي تنطقها أمّه ، و لكن لم يوضح ذلك الشخص عن من الذي يختار الحرف الذي تكتب به اللهجة إذا كانت تلك اللهجة التي تتحدث بها أم الطفل غير مكتوبة من قبل ، هذا إذا كان حديثة أصلا منقولا بدقة عن الأمم المتحدة. إن رأي المسلمين الإرتريين في لغة تعليم أبناؤهم كان ثابتاً وواضحاً منذ عهد الإستعمار الإيطالي ، ثم تأكد في عهد الإحتلال الانجليزي ، ثم في عهد الفيدرالية المشئوم ، ثم في سنوات حرب التحرير، وأخيرًا ثبت بما لا يدع مجالا للشك أثناء استطلاعات الدستور (المجمد) في التسعينيات من القرن الماضي ، حيث ثبت للمستطلعين الحكوميين بأن السواد الأعظم من المسلمين وكذلك قطاع كبير من المسيحيين الإرتريين سيما المثقفين منهم يدعمون بل ويطالبون بثنائية اللغة في التعليم كما كان سابقاً وقد تأكد صواب ذلك الرأي من خلال النتائج التي تحققت في مناهج التعليم الابتدائي في المناطق الإسلامية حتى الآن بحسب ما ورد في بعض التقارير الصحفية من داخل إرتريا ثم من الناحية الثقافية إن إرتريا منقسمة إلى ثقافتين فقط ، وهي في النهاية وحدة سياسية أوجدها الإستعمار شأنها شأن معظم الدول الأفريقية ولابد من مراعاة هذا الواقع من أجل الحفاظ على توازن البلاد كوحدة سياسية. إن توحيد لغة تعليم المسلمين في المرحلة الإبتدائية ،

وتوحيد لغة التعليم في المرحلة الثانوية على مستوى الوطن ، كما كان معمولا به في الماضي هو مطلب شعبي تاريخي ثابت وليس مزايدة سياسية آنية ويعتقد إن أي إخلال بهذه الترتيبات التي أمن عليها المجتمع الدولي في حينه ، قد يضاعف من متاعب البلاد السياسية. وهذا ما بدا يتأكد للجميع يوماً بعد يوم.

دعم الأشقاء العرب مطلوب إلى الآن

أحسب إن الدول العربية والشعوب العربية الشقيقة لم تتأخر عن دعم أشقاؤهم الإرتريين في كل المجالات بما في ذلك المجال الثقافي والتعليمي لإدراكهم بحاجة الشعب الإرتري للدعم الثقافي والتعليمي وهناك أعداد هائلة من شباب المسلمين من خريجي الجامعات والكليات العربية بإمكانهم القيام بمهام التعليم الابتدائي في المناطق ذات الكثافة الإسلامية بقليل من التدريب والاعداد. المسلمون في إرتريا لا يحتاجون إلى مجهود كبير لتعليم اللغة العربية والتعلم بها ، إذ هي لغة ثقافتهم أصلا. كل الإرتريين المسلمين من جيل الخمسينيات والستينيات الذين درسوا المرحلة الإبتدائية باللغة العربية يعملون اليوم في الدول العربية وفي شركات عربية تعمل باللغة العربية وهذا يدل على أن التأهل باللغة العربية لا يشكل حاجزا بل يفتح أبوابا للتواصل وفرص العمل للمسلمين الإرتريين. إن ما يطلبه أبناءُ المسلمين في إرتريا اليوم هو ليس أكثر من ذلك وبعد المرحلة الإبتدائية ، وعندما تكون الانجليزية لغة التعليم للمواد المقررة منهجياً على مستوى القطر ، يكفيهم من اللغة العربية حصة أو حصتان في اليوم ، كمادة فقط كما كان سابقاً وهذا سوف يحفظ لهم حد أدنى من لغة ثقافتهم ، ويمكنهم من إدارة شئون مناطقهم كما سوف يساعدهم للاستفادة من الإمكانيات الإعلامية والتعليمية الهائلة من الدول العربية المحيطة بهم ، وللتفاعل مع أمتيهم العربية والإسلامية كجزء منهما وليس كغرباء عنهما.

الخاتمة

"لعمرك لن تضيق البلاد بأهلها ولكن أحلام الرجال تضيقُ"

هـذه الدراسـة دعـوة إلـى الحـوار ودعـوة لفهـم الـذات وفهـم الآخـر فهمـا يفضـي إلـى المصـلحة المشـتركة والعـيش المشـترك. المسـلمون فـي إرتريـا بحاجـة إلـى الحـوار لتنشـيط لغـة تعلـيمهم التاريخيـة الوحيـدة (اللغـة العربيـة) حيـث طـالبوا بهـا مـرارًا بصـرف النظـر عـن الإختياريـة فـي لغـات التعلـيم بالنسـبة لهـم ولاشـك إن الحـوار الثقـافي الخـاص بلغـات التعلـيم مـن الأهميـة بمكـان ، ويسـتحق أن يسـبق كـل الحـوارات الأخـرى لأن هـذه القضـية تمـس ثابتـة مـن ثـوابتهم الثقافيـة ، ويتضـح ذلـك مـن خـلال النفـور الواضـح مـن الحـروف المسـتخدمة فـي التعلـيم الإبتـدائي فـي المنـاطق التـي كانـت تعتمـد الأبجديـة العربيـة قبـل إنـدلاع الثـورة وتحولـت إلـى إسـتخدام (الخطـوط الجئزيـة) بعـد الإسـتقلال وخـلال حـرب التحريـر فـي بعـض المنـاطق. وقـد فُهِـمَ مـن بعـض تصـريحات المسـئولين مـا معنـاه إن تريـث الحكومـة عـن الحـوار الـوطني وقضـايا إصـلاحية كثيـرة مـرده وجـود أولويـات مهمـة تتعلـق بالسـيادة الوطنيـة كقضـية ترسـيم الحـدود ومعالجـة حالـة الـلا حـرب والـلاّ سـلم القائمـة مـع إثيوبيـا الـخ فـإذا كـان هـذا الاسـتنتاج صـحيحاً ، فمـا علاقـة قضـايا التعلـيم بمشـكلة حدوديـة؟ أحسـب إن الشـأن الثقـافي والتعليمـي المحلـي لـيس لـه علاقـة بقضـايا الحـدود والحروب ودول الجوار؟

لا يتوقـع أحـد بـأن القـائمين علـى أمـر التعلـيم فـي إرتريـا بحاجـة إلـى مـن يـذكرهم بالمسـيرة التعليميـة الخاصـة بالإثنيـات الإرتريـة قبـل الثـورة ، والمتوقـع مـنهم كـان النـأي بقضـية التعلـيم عـن أي أجنـدات سياسـية داخليـة كانـت أم خارجيـة ، ولكـن تجاهـُل هـذا الموضـوع الهـام أضـاف الكثيـر مـن المتاعـب للحكومـة الإرتريـة منـذ الإسـتقلال وإن لـم تعتـرف الحكومـة بـذلك بـالطبع ويـذهب الـبعض بعيـدًا قـائلا إن مشـروع "اللغـة الأم" جـزء مـن صـراع ثقـافي ولغـوي غيـر مُعْلَـن ، ولـيس ظـاهرة أفرزتهـا بعـض العوامـل الداخليـة فـي مرحلـة الثـورة ومـا قبـل الثـورة. تاريخيـاً كانـت لغـة التعلـيم فـي إرتريـا حصـان طـروادة الـذي إمتطـاه الإسـتعمار لتمزيـق وحـدة السـكان فالدولـة الإيطاليـة فرضـت لغتهـا كلغـة تعلـيم إلزاميـة بـالرغم مـن تواضـع

البلاد ، لم تف بمتطلبات نضوج المهمة بالرغم من تفاعل الإرتريين كافة مع السياسة التعليمية التي إعتمدتها. ثم جاءت أثيوبيا وعمدت على "أمهرة" (فرض اللغة الأمهرية) وألغت لغتا التعليم المعتمدتين في إرتريا بضمانات من قبل المجتمع الدولي بناءًا على رغبة السكان وكان هذا التصرف الأثيوبي واحدًا من الأسباب التي عجلت بالثورة المسلحة عالية التكاليف والآن في عهد الدولة الإرترية ، وبعد مشروع "لغة الأم" الذي تبناه الحزب الوحيد الحاكم في إرتريا برزت ضرورة ملحة للتأكيد على حق المسلمين في إختيار اللغة التي يرونها مناسبة لهم من أجل التواصل الداخلي والخارجي وللحفاظ على ثقافتهم وإرثهم الحضاري ورفض جميع محاولات فرض اللغة التجرينية عليهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

من ناحية أخرى ، فإن رفض الثوابت الثقافية يفسر بلا شك على أنه رفض لأصحاب هذه الثوابت أصلا وإقصاء لهم. وهذه هي الطامة الكبرى التي يجب أن يتفاداها المتنفذون في الحكم اليوم حتى لا تصل الأمور إلى طريق مسدود ، فلم تعد الأوطان تبنى على الرفض والإكراه الدائمين.

إن الحوار الوطني الشامل هو الحل لمثل لهذه القضية ولكل القضايا العالقة في إرتريا بالرغم من عدم توازن القوى الظاهرى ، لأن الضعيف اليوم قد يصير قويا فى الغدِ ، وتعيش البلاد في دوامة من العنف.

كل الإرتريين كانوا يتطلعون إلى إعلان حكومي بإعادة اللغة العربية واللغة التجرينية لغتا التعليم في المرحلة الإبتدائية (يعني تدرّسْ بهما كل المواد الدراسية في المرحلة الإبتدائية في معاقلهما التاريخية) كما كان معمولا به قبل أن تصادر إثيوبيا هذا الحق ، ولكن أعيد العمل بلغة التجرينية وجعلت اللغة العربية إختيارية بين ٧ لهجات منطوقة لم تكتب قط من قبل دون الأخذ بعين الإعتبار المشاكل الكثيرة التي سوف يأتي بها هذا التصرف.

إن هذه الدراسة ليست إحصائية ولكن أريد بها رصد الأحداث والتوجهات منذ خمس قرون وحتى اللحظة في مسألة حيوية وهي "لغات التعليم في إرتريا"، ولكن إن وجود ٩ خريجين من أثنية واحدة (التجرينية) مقابل خريج واحد من ٨ مجموعات أثنية عدد أنفسها مجتمعة يساوي أكثر من عدد أنفس أثنية التجرينية

يغني عن الكثير من الأرقام الإحصائية. وقد توجد عوامل عديدة تسببت في هذه النتيجة المتدنية ، ولكن لغة التعليم في المرحلة الإبتدائية ربما كانت أحد أهم هذه العوامل. إن تنفيذ مطلب إعادة اللغة العربية إلى معاقلها التاريخية بغض النظر عن التحولات الديموغرافية التي طرأت على البلاد جراء الحرب الطويلة وعرقلة عودة اللاجئين من السودان ، يعني إستعادة الحقوق الثقافية والتعليمية الأهم إلى أصحابها وقد تعتبر هذه خطوة حقيقية نحو الحوار الوطني وترجمة حقيقية للحرية الثقافية وحرية الاختيار وإحترام ثقافة أصحاب الشأن وثوابتهم.

إن السياسة التعليمية لأي بلد ليس لها أي علاقة مباشرة بما تعانيه البلاد من مشاكل عسكرية أو مشاكل إقتصادية وسياسية داخلية وخارجية ، ولكن لها علاقة مباشرة بالثقافة الوطنية وبالحقوق الشخصية لكل مواطن وبتماسك الجبهة الداخلية والتنمية المستدامة على المدى البعيد. إن السياسة التعليمية الخاصة بلغة التعليم هي ثابتة من الثوابت الوطنية التي تبنى عليها الأوطان وأي إخلال بهذه الثابتة يؤثر سلبا على البناء الوطني والوحدة الوطنية على المدى البعيد وعلامات ذلك بادية للعيان ولا تخفى على أى مراقب للأوضاع الراهنة فى إرتريا وهذا وحده يعتبر مؤشرا كافيا أن خيار المسلمين في إرتريا والذى يتمسك به بقوة سوادهم الأعظم هو خيار وحق إعادة اللغة العربية لغة رسمية وطنية ولغة للتعليم الابتدائي فى مناطق المسلمين وهو مطلبهم المشروع الآن ومنذ أن شكلت إرتريا بحدودها الحالية.

المراجع

(١-٣) - موسوعة انكارتا الإلكترونية

(٣-٤) - فضائية الجزيرة – منشورات ٢٠٠٥ م

(٥) - محمد عثمان علي خير – عروبة ارتريا – ص ١٤

(٦) - عثمان صالح سبي : تاريخ أرتريا – ص ٢٩

(٧) - إسحاق قبريسوس : كتاب خلائق مرني وقاشنشم ، ص – ٨

(٨) - دكتور محمد منير مرسي : المرجع في التربية المقارنة ، ص ٢١٥

(٩) - صحيفة عكاظ السعودية ، صفحة الوطن عدد ١٤٥١٢ في ٢٣ ربيع ثان ١٤٢٧ هـ

(١٠) – محمد سعيد ناود : العروبة والإسلام بالقرن الفريقي ، ص ٥٥

(١١) - كتاب " عمق العلاقة العربية الارترية لمحمد سعيد ناود – ص ، ١٣٢

(١٢) - باحث وأكاديمي كويتي يدعوا إلى تطوير أساليب التعليم والإدارة في العالمين العربي والإسلامي وله مؤلفات وأبحاث عديدة في هذا المجال - وله محاضرات قيمة ، مسموعة ومرئية في السيرة النبوية وإعجاز القرآن الكريم ومجالات أخرى عديدة.

(١٣) - أمين توفيق الطيبي : اكاديمي فلسطيني مقيم في لندن : كتب المقال اعلاه في جريدة الحياة اللندنئة عام ٢٠٠١م

(١٤) - عثمان صالح سبي : تاريخ ارتريا ، ص ٩٥

(١٥) - المُنَصِّر رودين سبق وصول الطليان وكان يشرف على منظمة التبشير السويدية، وتمكن من تنصير- أعدادا لا يستهان بها من المواطنين الأرتريين.

(١٦) - محمد سعيد ناود – عمق العلاقة العربية الإرترية.

(١٧) - إسحاق قبريسوس : شعوب مروني وخلائق قاشنشم (، ص ٩٠) باللغة التجرينية.

(١٨) - عروبة إرتريا – حقائق ووثائق – محمد عثمان علي خير.

(١٩) - عثمان صالح سبي : تاريخ إرتريا.

(٢٠) - موقع الجزيرة نت – القسم الإنجليزي – منشورات عام ٢٠٠٥ م

(٢١) - ديوان - ترانيم ثورية - المقدمة - لجمعية المعلمين الارتريين .

(٢٢) - محمد سعيد ناود : عمق العلاقات العربية الأرترية ، صفحات (١٤١ -١٤٢

(٢٣) - عثمان صالح سبى : تاريخ ارتريا ، ص ١٩٠

(٢٤) - هارون آدم علي : الاسلام والمسلمون في ارتريا - (رسالة جامعية) ص ، ١٣٧ الى ١٤٠

(٢٥) - نبيلة عمر الحاج إدريس : موجز عن التعليم والاعلام والاقتصاد في إرتريا ، ص – ٥٥-٥٦

(٢٦) - كتاب أرتريا بركان القرن الافريقي - إصدار جبهة التحرير - ص٢٧٧

(٢٧) - محمد عثمان علي خير : عروبة أريتريا – حقائق ووثائق ص ، ١٦٥

(٢٨) - مجلة الأمانة الإرترية - شهرية تصدر عن الجبهة الشعبية للديمقراطية والعدالة.

(٢٩) - مجلة الرباط - العدد ٢٠ تاريخ أكتوبر ٢٠٠١ م (دورية يصدرها الحزب الاسلامي الارتري)

(٣٠) - مجلة المجتمع - العدد ١٦٢٩ تاريخ ١٠-١٢-٢٠٠٤ م

(٣١) - مجلة ساقم - العدد ١٧ ديسمبر ١٩٨٨م - مجلة ساقم مجلة كان يصدرها جهاز الإعلام بالجبهة الشعبية لتحرير ارتريا في الميدان.

(٣٢) - بشير إسحاق : موقع قبيل تاريخ ١٥-٨-٢٠٠٤ م

(٣٣) - الفضائية الإرترية عام ٢٠٠٥ م (موسى أرون مدرس وكاتب ارتري يكتب لهجة التجري بحروف الجنز)

(٣٤) - البيت للشاعر: عمرو بن الأهتم التميمى المنقري.



نبذة عن الكاتب:

أبو بكر جيلاني ضرار

من مواليد مدينة أفعيت بالساحل الشمالي الأرتري

خريج معهد المعلمين فى دير بران بالقرب من أديس أبابا عام ١٩٧١م

بدأ حياته العملية مدرساً في الساحل الشمالي الأرتري عام ١٩٧٤م

هاجر إلى السودان وعمل مدرساً فى مدارس الثورة الأرترية فى بورتسودان حتى عام ١٩٨٢م

هاجر إلى المملكة العربية السعودية وعمل مدرساً في مدارس المنارات الأهلية حتى عام ١٩٨٢م

نال دبلوم إدارة أعمال بالمراسلة من: مدارس المرسلات الدولية البريطانية ICS في عام ١٩٨٥م

نشرت له العديد من المقالات حول قضايا التعليم في أرتريا قبل الاستقلال وبعده فى كل من صحيفة المسلمون وصحيفة المستقلة وبعض المواقع الارترية في الشبكة العالمية